الندوة

العدد السابع – آب 2024

نشـــرة إلكترونية فصلية تصدر عن الندوة الثقافية المركزية

حرب المجتمع على نفسه

لا يمكننا أن نصل إلى صيانة مصـــلحة الأمة ولا الانتقال إلى الصراع الخارجي لصيانة مصـــالح الأمة الخارجية قبل أن نتمكن من إنهـاء الحرب الداخلية.

إنها حرب عنيفة، إنها حرب بين إرادة الأمة وبين الإرادات الخصوصية.

وفي هذا الصراع تقف هنا النهضة القومية الاجتماعية مؤمنة بنفسها، مؤمنة بمبادئها، واثقة من قوّتها، فاعلة ليلاً نهاراً بلا توان ولا تأخير شاقة الطريق بإرادة الأمة متغلبة يوماً بعد يوم على المصـــالح الخصـــوصـــية الداخلية صاهرة إياها في مصلحة واحدة هي مصلحة الأمة.

سعاده، من خطاب الزعيم في جزين، 1948/10/10.

في هذا العدد

- ✓ كلمة رئيس الندوة الثقافية
- ✓ رسالة عمدة الثقافة والفنون الجميلة
- ✓ كلمة تدهور المجتمع السوري – إبراهيم مهنا
- ✓ الهجوم المعاكس الثقافي – وليد زيتوني
- ✓ احتراب المجتمع على نفسه – نسيب أبو ضرغم
- ✓ حرب المجتمع على نفسه – فهد الباشا
- ✓ بداية عالم لم تتحدد معالمه– ريجينا صنيفر
- ✓ السيادة الثقافية – سليم مجاعص
- ✓ زاوية من زوايا النظرية الاجتماعية في فكر سعاده – رامز حوراني
- ✓ وفاة الأمين المفكر والمناضل حيدر حاج إسماعيل
- ✓ قبرص حصن سوريا في البحر – سيمون حاجوج
- ✓ حرب مصيرية فُرضت على أمتنا – ادمون ملحم
- ✓ منهجية تفكير سعادة – مدرسة التفكير القومي الاجتماعي – يوسف كفروني

حرب مصيرية بين مشروعين متناقضين:

مشروعٌ عدوانيٌ سرطاني ومشروعٌ إنسانيٌ راقٍ

نظّمت الندوة الثقافية المركزية التابعة لعمدة الثقافة والفنون الجميلة في الحزب الســـوري القومي الإجتماعي وضمن أنشطة برنامج "الطاولة المستديرة" ندوة حواريّة بعنوان "حرب المجتمع على نفسِهِ والمواجهة الثقافية". وقد تشـارك في تقديمِها مجموعةٌ من المفكّرين والكتّاب والإعلاميين والمحلّلين، ومن بينِهِم رئيس الندوة الثقافية الدكتور الأمين إدمون ملحم، الأمين سركيس ابو زيد، الأمين حسان صقر، الأمين نسيب بو ضرغم، وكلّ من عميد الإعلام الرفيق ماهر الدنا، عميدة الثقافة الدكتورة الرفيقة فاتن المرّ، وكيل عميد الثقافة الرفيق ابراهيم مهنّا، إضافة إلى الدكتور الرفيق فداء ابو حيدر، الدكتور الرفيق سليم مجاعص، السيّدة ريجينا صنيفر.

المخاطرُ كبيرةٌ على أمتِنا

كلمة رئيس الندوة الثقافية المركزية
الأمين الدكتور إدمون ملحم

أهلاً بكم في رحاب الفكر والثقافة

نجتمع معاً في هذا المنتدى الثقافي لنتشـارك أفكارًا وتحليلاتٍ بهدف الوصـــول إلى رؤيةٍ عمليةٍ واضـــحة لكيفيةِ مواجهةِ ما يتعرّضُ له مجتمعُنا من أخطارٍ وتحدياتٍ مصيرية، لا شك في أنها ستؤدي إلى مزيدٍ من التفككِ والانهيار ما لم نبادرْ إلى تحمُّلِ مســـؤولياتِنا تجاه شعبنا وبلادنا.

المخاطرُ كبيرةٌ على أمتِنا، ولا تنحصـــرُ بحروبِ الأعداءِ الذين ما زالوا، ومنذ عشرينيات القرن الماضي، يرتكبون أبشعَ الفظائعِ والجرائمِ والإبادة الجماعية بحقّ شـــعبنا، بل وأيضـــاً بمخططاتِ الأعداءِ وسـياسـاتِهم الهادفةِ إلى اسـتغلالِ انقسـاماتِنا وأمراضِـنا لإضـرامِ نارِ الفتنِ المذهبيةِ وتكريسِ ما وصـفهُ الأمين يوسـف الأشـقر بـــ"حربِ المجتمعِ على نفسه".

هذه العبارةُ تختصـــرُ الواقعَ المريرَ الذي نعيشُـــه ونعاني من ويلاته نتيجـةَ دوراتِ العنفِ والحروبِ التدميريـةِ الإفنـائيـة التي يشـــهـدُها مجتمعُنا بين فترة وأخرى، مع ما تخلّفه من دمارٍ ومآسٍ وانقســـاماتٍ ومن استفحالٍ للعصبياتِ الطائفية والعنصرية والقَبَلية.

مجتمعُنا، وللأسف، بات مجتمعًا عاجزاً، مثقلاً بالفسادِ والذلِ ومقسّمًا إلى إماراتٍ ومناطقَ طائفيةٍ تكادُ تكونُ معتقلاتٍ مقفلةً تفتقد أدنى مقوماتِ التفاعلِ المجتمعي الطبيعي. مجتمعٌ طوائفيٌ كهذا لا يمكِنُ أن يكونَ قادرًا على مواجهة التحديات المصيرية الساعيةِ لتمزيقه على أسسٍ مذهبية وأثنية، كما إنه مستباحٌ ومعرّضٌ دائماً لاختراقاتِ العدوِ لمكوّناتِهِ وعمقه الاجتماعي ولمحاولاتِ إشعالِ الفتنِ الطائفيةِ بغيةَ إضعافه وتفتيته أكثَرَ فأكثر.

واقعُنا المأساوي المفكك نرى عوارضه في الأزماتِ الاقتصاديةِ والفسادِ والانقساماتِ السياسية، ونراها في أبواقِ التحريضِ الطائفي، كما وتتمظهرُ بالبؤسِ واليأسِ والتهجيرِ وهجرةِ الشبابِ والأدمغة وغيرِها من العوارض.

هذا الواقعُ الانحطاطيُ الذي تسودُ فيه الثقافاتُ الرجعية وتغيبُ عنه رابطةُ المواطنية الصحيحة والأخاءُ القومي، لا شك يتيحُ للمرجعياتِ الطائفيةِ والإقطاعية لتعملَ على تأمينِ مصالحِها ومكاسبِها الفئوية على حساب مصلحة المجتمع وخيره، فتعرقل وحدته وتقدمه، لا بل تساهم بتآكله وتدميره لأنها تشرعن الفساد وتعطل العدالة وتمنع المساواة وتقمع الحريات وتخضع الناس للعيش بعبودية وتقوقع وانعزال بعيداً عن الإنتماء الوطني الجامع..

نحن، أبناءَ النهضةِ القوميةِ الاجتماعية، معنيون في ايقاظ روح المسؤولية عند أبناء شعبنا وفي استنهاض قدراتهم وإصلاح أحوالهم وتجويد حياتهم. مسؤوليتنا تحتم علينا أن نكون، كما وصفنا سعاده، "القوة المهاجمة لا المدافعة"، التي تخوضُ معركةَ الوعي والتربية والتثقيف لنقضيَ على الجهلِ والخنوعِ والانحطاط. مسؤوليتُنا تحتم علينا أن نُعمّمَ الثقافةَ النهضويةَ البانيةَ للإنسان الجديد، ثقافةَ الإبداعِ التي تحرّك العقولَ وتفجّرُ الطّاقاتِ الخلّاقة في مجتمعنا وتعدّه لمواجهة الأخطار بخطّةٍ نظاميّةٍ عقلانيّة تحيي حقيقتنا التّاريخيّة وتراثنا الإبداعيّ وتعمل لوحدة المجتمع ورقيّه...

فتعالوا لننخرطَ في الفعل الثقافي المبدعِ المعبّرِ عن نفوسِنا الجميلة.. تعالوا لنُحدِثَ تغييرًا فعليًا في حالةِ المجتمع وفي كلِ مجالاتِ حياتِهِ وأنماطِ تفكيره وأخلاقه وقيمه، لأننا معنيون بأن نكونَ فاعلين ومؤثرين في مجتمعنا لا متفرجين ومتخلّين عن دورنا في توعية الناس وتنويرهم وانقاذهم من الرذائل والأحقاد والعصبيات الدينية المتنافرة ورفعهم إلى منزلة ثقافية سامية.

كلُّنا أملٌ وثقة بأننا سنخرجُ من ندوةِ اليوم بأفكارٍ وتطلعاتٍ ستساهم في دفعنا باتجاه يقرّبنا من هذا الهدف السامي الذي نسعى إلى تحقيقه. ولا شك في أن المحللين والمفكرين والكُتّاب الذين سيتناوبون على الكلام في هذه الندوة، ولهم جزيلُ شكرِنا وفائقُ تقديرِنا، سيضفون على الموضوع الأساسي أبعادًا ستدعِّمُ قدراتِنا على التحليلِ والاستنتاجِ والاستنباط. ولتحي سورية.

في حرب المجتمع على نفسه، فئة الشباب مستهدفة

بقلم عميد الثقافة والفنون الجميلة

الرفيقة الدكتورة فاتن المر

ما أود ان أثيره اليوم هو سؤال قد يكون وجودياً: كيف نجح من خطط ليكون مجتمعنا على هذا الحال المرضي في تهميش الشباب وإبعادهم ليس فقط عن العمل، بل أيضاً عن الهواجس السياسية والاجتماعية؟ كيف يتوانون عن المبادرة لأي نشاط فيه فائدة عامة؟

سأقدم فرضيات علينا أن نخضعها للبحث والتمحيص علنا نضع إصبعنا على الجرح، بل على الجراح التي كانت في أساس المرض.

إن الشعور بعدم إمكانية إجراء أي تغيير يتحول كسلا أو عنفا. وبسبب الفساد المعمم، يرى الشباب أمامهم أنموذجاً من الوصوليين الفاشلين الذين يتبوؤن مراكز مهمة من دون أن يكون لديهم المواصفات العلمية أو الشخصية المناسبة، ثم أن التحركات التغييرية القليلة لم تنتج إلا الفشل الذريع وبالتالي الإحباط.

لقد تمت، في العشرية الأخيرة، وبشكل ممنهج ومدروس شيطنة الأحزاب بشكل عام (وكان هذا واحداً من ادوار المنظمات غير الحكومية الدخيلة كما الشعارات التي تطلق عبر وسائل التواصل)، تلك المنظمات، بالإضافة إلى تحذيرهم من الانخراط في أي عمل حزبي، قدمت لهم منابرها ودورات إعدادية توجه القادة منهم بالاتجاه الذي تريده. أما الأحزاب (غير الطائفية طبعاً) التي تخوض هي أيضاً حرباً ضد نفسها فقد ساهمت بدورها في تضييق الأفق المتاح، مما أدى إلى ابتعاد الشباب عنها وانصرافهم إلى تأمين سبل العيش، أو الانغماس في اللهو. إن الأزمات الاقتصادية تؤثر بشكل خاص على الشباب فيصبح تأمين العمل والراتب أولوية، ويصبح الاغتراب الخيار الأول، مما يؤدي إلى مجتمع هرم ذاهب نحو حتفه.

غياب نشر الوعي في المؤسسات المدرسية أو الجامعية التي لا تحفز الطالب على العمل التطوعي، والانخراط في تحسين المجتمع من حوله أو إدخال أي تحسينات على متحده، ولا تحثه على التفكير في مسائل عامة وإبداء الرأي حولها، ولا تنمي عقله بل هي داخلة في سباق تنافسي تجاري مع المؤسسات الأخرى ولا تهتم للطالب إلا بصفته زبونا مهمته زيادة دخلها، في حين يغيب بشكل إجمالي الدور التربوي الاجتماعي للمدارس الرسمية والجامعات التي تضم في صفوفها أكبر عدد من الطلبة.

إن جيل الأهل، إذ عانى من الحرب الأهلية والأزمات الداخلية المتعددة قد نسب معاناته إلى السياسة وراح ينصح أبناءه بالابتعاد عنها كأن السياسة بشكل عام هي أساس العلل وليس السياسات الصغيرة المبنية على المصالح الطائفية والشخصية.

تغييب الشباب بشكل خاص عن السياسات المحلية، فهم لا يشعرون بالمسؤولية تجاه متحدهم الأصغر ولا يجدون لديهم إمكانية إجراء أي تغيير فيه. إن السلبية لدى عنصر الشباب (إذا استثنينا المقاومين الذين يمارسون أرقى الأعمال البطولية) تتنامى حتى تصبح نهج حياة، فلا هم مهتمون بالشأن البيئي ولا الثقافي ولا الاجتماعي ولا السياسي، إذ لا يربطون بينها وبين تحسين أوضاعهم، بل هم مغرّبون عن مجتمعهم، رافضون المشاركة في صناعة مستقبلهم وهذا يشكل تهديداً وجودياً مدمرا علينا أن نفكر بجدية بالوسائل المتاحة لرد شره عنا.

تدهور المجتمع السوري

كلمة وكيل عميد الثقافة الرفيق إبراهيم مهنا

المجتمعات هي المظهر الحقيقي لحياة الانسان. انها حيوات الانسان. هي في دينامية دائمة الحركة، تتطور، تنمو، تتراجع وتتدهور وتنهار وتموت أيضا. والتدهور درجات وأنواع، ولكل منها درجة خطورة. السؤال الأهم: ما هي عوامل هذا التدهور؟ هل هي داخلية من ذاته أم من خارجه؟ إذا افردنا الدور الأكبر الخارجي لعامل البيئة كما أكد كثير من البحاثة، باعتبار ان التدهور البيئي سبب رئيسي لتدهور المجتمعات والشواهد التاريخية كثيرة. يبقى السؤال: ما هي العوامل الداخلية التي تؤدي الى التدهور والتفتت؟

في هذا الشأن كثير من الأعمال الغربية عالجت هذا الموضوع، ودرست جوانبه وحاولت صياغة نظرية حول كيفية تدهور المجتمعات. لكن المؤسف ان تلامذة سعاده ربما قصروا في هذا الشأن، فقلما نجد دراسات وافية انكبت على المجتمع السوري ودراسة بنيته وتركيبه وعوامل تفككه وتخلفه وتدهوره، متناولة العناوين التي أسس لها سعاده والتنكّب لاستكمالها. (أثمّن هنا دراسة د. عادل ضاهر "الانسان والمجتمع" كدراسة قيّمة وجهد عال).

ان مقاربة المجتمعات مسألة عميقة جدا ومتعددة المناهج وزوايا النظر والمقاييس ومتغيرة أيضا بالمقاربة البنيوية، المجتمع هو جملة عناصر (افراد) وعلاقات. اذاً فدراسة التدهور سينحصر في تدهور العلاقات بين الأفراد وأثرها على الجسم العام. في المقاربة العضوية، المجتمع كائن حي ينمو ويمرض وله جهاز مناعة ويموت أيضاً. وله طاقة تنمو وتتجدد وتضمر وتذوي. ما يهمنا في الواقع ليس جملة الدراسات الغربية التي درست مجتمعات مختلفة عن مجتمعنا وحاولت صياغة قوانين ونظريات لتعميمها على المجتمعات عامة. ما يهمنا بالضبط، هو مجتمعنا السوري حصراً، وواقعه، ودرجة تدهوره، ومدى خطورتها، وما هي العوامل المسببة لهذا التدهور، لاستخراج الأهم وهو الوسائل اللازمة لوقف هذا التدهور.

في المشهد الأول نحن امام مجتمع فاقد رشده وهويته ووعيه وذاكرته. وللتعمق فان دراسة واقع المجتمع السوري تجري عبر الأبعاد التالية: نفسي – سياسي – ثقافي –اجتماعي– اقتصادي. وبالتدقيق بواقعنا وما فتح له سعاده، فان عناوين عامة تلخص الواقع.

ويبقى السؤال، وماذا بشأن مجتمعنا؟ وكيف قارب سعاده المجتمع؟ وكيف نقارب اليوم واقعنا؟

- فقدان الوجدان وضياع الشخصية. الوجدان القومي والشخصية القومية. حالة ضمور عاطفي.
- انسحاق نفسي كبير ناتج عن تراكم جملة من الاحتلالات والهزائم العسكرية الناجمة عن فقدان السيادة وغياب الدولة المركزية الكبرى. حالة ضمور نفسي.
- انقطاع المجتمع عن أصوله الثقافية وخاصة تراثه وتاريخه. حالة ضمور ثقافي روحي. وهذا يقتضي تحديد العوامل المسؤولة.

- التجزئة الاجتماعية والعوامل المسؤولة وعدم وجود مؤسسات اجتماعية جامعة لكل اشكال الانتماءات الجزئية المتناقضة التي تجعل الفرد منتميًا الى جماعة ما. حالة موزاييك اجتماعي.
- اختلاط الشؤون القومية بالشؤون الدينية المذهبية الأثنية وتمظهر تناقضات الطائفة والطبقة والمذهب والعنصر والأثنية. حالة تخبط فكري.
- تعطّل عمليات التفاعل داخل المجتمع والاتجاه من الانفتاح الى الانعزال. حالة تشكلّات اجتماعية مخالفة لطبيعته داخل نسيجه.
- تعطّل عوامل التفاعل فتعطلت معها وحدة الحياة يجعل الأمة تفقد وحدة خصائصها الفيزيائية الثقافية النفسية، العقلية.
- تعطّل الوجدان أدى الى تعطّل وحدة رؤية المصالح وتعطل الإرادة حيث حلّت محلها الإرادات الخارجية المعطّلة لمصالح حياته.

إذاً هو معطل كواقع تاريخي، وكواقع ثقافي، وكواقع اجتماعي، وكواقع نفسي. أمام كل هذه الأعطال من البديهي تعطل إرادته فيفقد قدرته على الفعل. والمجتمع هو أمة تعي ذاتها. فأي اختلال في الوعي ينتج عنه حكمًا، اختلال في حياة المجتمع وحركته، وعندما يعي المجتمع نفسه تتغير كل دورة حياته وحركتها. ونحن نفهم ان الصراع بين المجتمعات هو صراع بين المصالح القومية، اما داخل المجتمع فالمصالح الواحدة تكفل وحدة الاتجاه ووحدة الحركة. فالمصالح الواجب ان تكون عامل وحدة في رؤيتها والشعور بها، تحولت الى مصالح جزئية وفقدت دورها الجامع وساهمت في احتراب الجماعات داخل المجتمع الأكبر.

ولا شك ان للمجتمعات نظام يكفل انتظام حياتها الطبيعية بشكل سوي، في حركة المجتمع الطبيعية نظام شبيه بالبرمجة العصبية وهو يضمن انتظام حركته وتناغمها وتوازنها. ان أي اختلال في هذا النظام يجعلها عرضة للتدهور. وأحيانا يبدو المجتمع المنهار كأنه حالة انهيار عصبي، كالذي تصيب الفرد والشواهد من مجتمعنا كثيرة.

ان ركن هذا النظام السوي هو علاقة الفرد بالجماعة: ما الذي ينظم علاقة الفرد بالجماعة؟ اول مستويات القياس والتحليل في حياة المجتمع: الفرد والمجتمع. ان انفكاك الفرد عن الجماعة أهم عوامله هو غياب النظرة الاجتماعية وبروز النظرة الفردية، ويعتبر سعاده غياب التربية القومية الصحيحة وفقدان روح الجماعة esprit de corps سبب أساسي في هذا الشأن. النزعة الفردية باعتبار مصالحه معيار المصالح، وعدم استعداده لتقديم تضحية في سبيل مصلحة الجماعة، إذا انه لا ينتمي الى الجماعة. والثانية العائلة هي الوحدة الأساسية في النسيج الاجتماعي. والثالثة القيم الاجتماعية بين الأفراد: قيم التضامن والتكافل والتعاضد. إذا نحن امام حالة تخلف على صعيد النظام الاجتماعي: تخلف شامل لمصالح أساس العلاقة في إطار النظرة الاجتماعية ببعدها الأخلاقي المؤسسة على مصلحة الجماعة العليا وقيم التعاون والتضامن والتكافل والتعاضد بين الأفراد والتي تمنح القوة للمجتمع. فاذا ما اختل هذا النظام تدهور وتفكك وانقسم وتردى وفقد طاقته المحركة.

إضافة الى اختلال علاقة الفرد والمجتمع، فمما لا شك فيه ان التدهور أنواع: التفكك الاجتماعي والإنقسام الاجتماعي والانحلال الاجتماعي: كلها طالت مجتمعنا لكن الأخطر منها، ان كتل اجتماعية في بلادنا دخلت في حروب افنائية ضد بعضها البعض مستنزفة طاقاتها والتي هي طاقة الأمة الحيوية بالأساس.

والتدهور درجات قد يصل الى الانهيار الاجتماعي. ماذا يعني ان مجتمعًا انهار؟ ويتكلم علماء الاجتماع عن موت المجتمعات ويقدمون الأمثلة على مجتمعات اندثرت وبادت.

وبالمقاربة الحيوية فهو جسم حي ينمو ويمرض وله مناعة، وبالمقاربة الحركية فهو كناية عن دورة حياة اجتماعية اقتصادية نفسية. ومن نافل القول انه لا فصل بين الأمة والمجتمع فيقول سعاده: "نعرّف العقيدة بأنها قومية اجتماعية فهي قومية لأنها تقول بالأمة والولاء القومي. وهي اجتماعية لأن غايتها الاجتماع الإنساني– المجتمع،

وحقيقته، ونموه وحياته المثلى. والمجتمع الأكبر والأمثل هو الأمة، وقد جاء في التعاليم: "أمة واحدة – مجتمع واحد."

فالأمة هي مجتمع وجوده حقيقي، له شخصية وهوية وحركة، حركته وحياته هي الأساس.

اذاً ماذا بشأن مجتمعنا السوري؟

أولا يحتاج مجتمعنا السوري دراسة مفصلة لواقعه، فانه عجز عن صهر الواردات الاجتماعية الثقافية القادمة اليه فبدى مجتمعًا غير متجانس، وهذا ناتج بالأساس ان هذه المدخولات الثقافية وتمركزها الجغرافي جعلتها مصادر أزمة للمجتمع ، فبدا كأنه ضياع مفهوم المجتمع الأكبر وفقدان دورة حياته فهذا الانقسام جعله مجتمعات صغرى متناحرة متحاربة مستنزف الطاقة إضافة الى التجزئة السياسية التي لعبت دورا كبيرا في منع جسم المجتمع من اكمال دورته اضافة الى الانسحاق النفسي المتمثل بالشعور بالعجز وفقدان ثقته بنفسه والتي نتجت عن انسلاخه عن تاريخه العظيم المشرق حيث تم تجييره وتزويره وسرقته وأكملت التجزئة السياسية على ما تبقى. إضافة الى أن هذه المكونات ونتيجة ضعف الاندماجات، أصبحت تمتلك هويات جزئية تصوغ حركتها في هذه الهوية. ومضى الأمر بها الى الاندفاع نحو احتراب بين الهويات الجزئية، في الوقت الذي لا يملك المجتمع وسائل مناعة تمنع هذا الاحتراب.

بالتوصيف هو فاقد الرشد. وفاقد الهوية. الرشد هو العقل وهذا يفتح بابا إضافيا على دراسة واقع رشده المفتّت المجزأ المعطل بعوامل.

اما السؤال ما هو الطريق للخروج من هذا التيه؟

- البعد الفكري: اعادة صياغة مفهوم الأمة على أساس الحياة الواحدة واعادة تشكيل الوعي القومي المنحرف والمجزأ الى وعي مزيف...
- البعد الأخلاقي: اعادة صياغة النظرة الأخلاقية المناقبية على أساس مصلحة الأمة العليا والفضائل النفسية والأخلاقية كضمانة.
- البعد النفسي: إزالة الحواجز النفسية واعادة تحرير تاريخ الأمة من السرديات المشوهة له وتحرير الوجدان الاجتماعي واطلاقه.
- البعد الحركي: اعادة إطلاق حركته المكبّلة بموثقات جدية وصلبة مادية ونفسية، تعطل حركته. وإزالة كل الحواجز السياسية المانعة والمعطلة لدورة حياة الأمة وتفاعل أبنائها مع بعضهم البعض.
- البعد الاجتماعي: العمل على إزالة كل اشكال الإنقسام والتناحر بين المكونات الاجتماعية وهذا يحتاج لعمل فكري ومؤسسات سلطة.

بالخلاصة، ان وقف احتراب المجتمع نفسه مرتبطة حكما باستعادة وعيه وهويته ورشده وذاكرته، باستعادة خطه النفسي الصحيح بعد تنقية نفسيته من النفسيات الدخيلة الغريبة وترميم ثقتها بنفسها وتحررها من الانسحاق النفسي المزمن، مرتبطة حكما بإزالة كل اشكال المعطلات لحركته وعلى رأسها التجزئة السياسية والاجتماعية ومرتبطة أيضا بتحرير إرادته من الإرادات الأجنبية والإرادات الجزئية الناتجة بعامل التجزئة السياسية المعطلة لإرادته.

ان الأساس للخروج هو في أخذ المجتمع بالنظرة الفلسفية الجامعة والأخلاقية والنفسية الاجتماعية للقومية الاجتماعية. وهذا الخروج رهن بالمثلث: أهلية المجتمع للخروج، وأهلية المؤسسة التي اخذت على عاتقها هذا الدور، وحجم العقبات الموضوعة في هذا المسار.

الهجوم المعاكس الثقافي

الأمين وليد زيتوني*

بداية، لابد من الاعتراف، وانا الشاهد على نصف قرن وأكثر من تاريخ الحزب، انني لم أواكب حالة ثقافية بهذا الزخم وهذا الحجم، تتناول فكر الحزب وحركته، وتبحث عن آليات ووسائل انتشاره، وتقمش أدبياته وتعيد تداولها بما تحمله من استشراف وحلول لحاضر ما زال ممتدا منذ بدايات إطلاق مشروع النهضة. رغم الامكانيات المتعثرة والعوائق الإدارية والصعوبات المجتمعية.

طبعا، لن أغبن مراحل وأفراد قدمت كل ما لديها من طاقات جماعية او فردية في سبيل حمل الراية وتسليمها للأجيال التي تلتها. ولولا هؤلاء لانقطع خيط الفكر وتبدّد التلامذة.

اما اليوم فنقول "جاء الوقت الذي، أذا فات، ولم نفعل شيئا في سبيل حريتنا، فإننا ساقطون في عبودية شديدة طويلة!"[1] لقد عمل المؤمنون بالعقيدة ما استطاعوا اليه سبيلا، لكنه عمل لم يخرجنا الى رحاب الحرية بعد، ولم ينقذنا من عتمة نفق نبحث فيه عن مخارج نور. نحن مكبلون بقيود الآخر المستبد، مأسورون بهوامش تاريخه، منبهرون بتنوع ألاعيبه، موزعون على ولاءات متعددة بتعدد الأمم التي غزتنا، والامبراطوريات التي استدمرتنا، والحضارات التي حاولت وما زالت تعمل على سحق جذورنا.

غير ان المؤمنين بالنهضة ما لانو ولا استكانو رغم الجراحات العميقة في جسد الأمة التي لا ترضى القبر مكانا لها تحت الشمس، بل تستعيد قيامتها عند كل محطة وجودية من محطات التاريخ.

وليس هناك من دلالة على الانتفاضة من رماد الماضي أفضل من الدعوة الى احياء ثقافة المقاومة بهذا اللقاء الطامح الى عصف فكري يزوبع بيدر الغلة، فاصلا بين الحنطة والزؤان.

ايها الرفقاء، ان الدعوة الى عمل ثقافي اثناء الحرب، عمل نضالي لا يقل أهمية عن العمل في الجبهات. فالثقافة هي المحدد لاتجاه البندقية وهي اداة التسديد والتصويب، وهي الضامن لحسن التجميع ومنع التشتيت والتفرقة.

ما بين الحرب والثقافة علاقة جدلية متلازمة منذ بدء التاريخ. فليس هناك من حرب دون افكار مترجمة في أهداف ومصالح، ولم يحصل عبر الأزمنة ان حربا لم تلق ظلالها على ثقافات المجتمعات المتحاربة من خلال التفاعل سلبا او إيجابا. ولقد اجاد العلامة ابن خلدون في وصف هذه الظاهرة بشكل مسهب في مقدمته المشهورة، معتبرا ان المنتصر البربري يأخذ حضارة الخاسر في الحرب ويتبناها. والشواهد كثيرة في تاريخ الأمم على صحة هذه المقولة، وأبرزها ما يتعلق في أمتنا السورية. غير "ان أشد حروبنا هي الحرب الداخلية. وهي آلمها وأمرها، لأنها بيننا وبين فئات من أمتنا نعمل

[1] من رسالة الزعيم الى ادفيك جريديني 5 شباط 1938.

على رفعها وتعمل على خفضنا، نريد لها العز وتريد لنا الذل، نتوجه اليها بالاحترام وتتوجه الينا بالاحتقار، نأتيها بالمجد وتأتينا بالإستهزاء"، كما يقول انطون سعاده. هذا بالواقع وجه من أوجه حرب المجتمع على نفسه كعنوان من عناوين هذا اللقاء.

قد تكون هناك أسباب عديدة جعلت مجتمعنا يغرق في هذه الصراعات منها أمراض طائفية وعشائرية وجهوية وأثنية زرعها الغرب وغذّاها في بداية تشكل الدولة القومية عبر الإرساليات والدلالين والموفدين والقناصل وبعثات الإستشراق حيث اعادت رسم المجتمع بما يتلائم مع مشاريعها بعد ان فككت بنيته الثقافية والقيمية وضربت جذوره الحضارية وجعلت كل جزء منه يتماهى مع صورة المشغل الغربي وعلى مثاله. فمنا من صار انكليزيا أكثر من الانكليزي، وفرنسيا أكثر من الفرنسي وايطاليا أكثر من الايطالي واليوم اميركيا او روسيا او صينيا أكثر من مواطني هذه الدول.

لقد أدرك سعاده هذه الحقيقة وعمل جاهدا على تغييرها مبرزا العوائق وطرق تجاوزها وصولا الى مجتمع موحد ببعث نهضة تكفل استعادة شخصيته وتعيد لهذه الأمة دورها الحضاري ورسالتها الانسانية. إلا ان استشهاد سعاده في خضم نضاله وصراعه لمواجهة هذه الهجمة الثقافية العسكرية الاجتماعية اعاق انتصاره رغم انه لم يلغه. بقي مشروع سعاده قائما وعاملا عبر الحزب السوري القومي الاجتماعي ومؤسساته وان بوتيرة مختلفة.

وإننا نأمل ان يؤسس هذا اللقاء مدماكا جديدا فاعلا في هذا الصراع الوجودي التاريخي مضافا الى المداميك الاخرى في عملية الدفاع عن حضارتنا وحقنا في الحياة على اسس الوحدة والحرية والسيادة والاستقلال.

على ضوء ما تقدم سأحاول طرح مسألتين اعتبرهما ركيزتان من ركائز المواجهة.

الأولى هي مسألة المفاهيم لما لها من دلالات تؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على البوصلة العقائدية التي نعتمدها. يقول سعاده "ان التحديد شرط الوضوح" وهو من البدايات ومع كتاب شرح المبادئ أدرج في خاتمته مجموعة من المصطلحات معتبرا اياها ضرورة لفهم النص ووضعه في اطره الثقافية التاريخية لإظهار حقيقة ما يرمي اليه دون التباس بعيدا عن التأويل. وهو ما اعتمده في كتابه نشوء الأمم حيث بيّن المستندات والمراجع التي استقاها لتدعيم رأيه وحججه ضمن سياق منهجي علمي، لم يسبقها اليه آخرون في اللغة العربية حتى تاريخ وضعه لهذا الكتاب.

لا بد هنا، وقبل الدخول في تعداد بعض المصطلحات كمثال يتوجب إعادة النظر في استخدامها، تعترضني فكرة كثيرا ما أرددها وأراها من أولويات المهام الثقافية للحزب والعاملين في فكر وتراث سعاده. هي إعادة قراءة هذا التراث على قاعدة التمييز بين نصوص سعاده الفكرية وبين خطاباته التعبوية الهادفة الى تدعيم التنظيم الحزبي وتوسيع انتشاره.

في العودة الى مسألة المصطلحات، فيجب التأكيد ان هذه المسألة ليست فقط قابلة للنقاش وانما اقترح ان تنشأ في عمدة الثقافة إدارة او على الاقل لجنة مهمتها دراسة اي مصطلح قديم او جديد وابداء الرأي لاعتماده منعا لفوضى انتشار المصطلحات التي لا تتوافق مع العقيدة القومية الاجتماعية خصوصا في هذا المحيط الجارف من المعلومات المستقاة من وسائل التبيان الحديثة والتي تحمل في طياتها الكثير الكثير من الدس والتزوير جنبا الى جنب مع الحقائق والمعلومات المفيدة.

فمثلا مفهوم العقيدة او الايديولوجيا، كثيرا ما يستخدم في نسخته الماركسية القائمة على التبرير، حيث يتجنب البعض استخدامها معتبرا اياها مذمة كما صورتها الماركسية رغم ان كلمة ايديولوجيا في الأساس منحوتة من كلمتين "ايديو" وتعني الفكر و"لوجيا" وتعني العلم وبالتالي هي علم الافكار، لكن طغيان الفكر الماركسي والغربي

فيما بعد جعل منها مفهوما منبوذا، وعلى هذا الاســـاس اعتبر فوكوياما ان انتصـــار الرأســمالية موت الايديولوجيات وبالتالي نهاية التاريخ.

في مفهوم الشـرق الأوسـط، وهو مفهوم جهوي جغرافي يعزز مركزية الغرب ويجعلنا منطقة ملحقة به. وهذا ما ظهر جليا في المشـــاريع المرسومة لنا من الشرق الأوسط الجديد الى الشرق الأوسط الكبير الى الشرق الأوسط الموسع بما تضمنته هذه المشاريع من تسميات جديدة كالهلال الإسلامي والهلال الشيعي الخ. رغم ان انطون سعاده كان واضـحا في هذا المجال فاصـلا بين المشروع السياسـي الغربي وبين سورية الطبيعية كمتحد أتم.[2]

في مفهوم الاستعمار: استمد هذا التعبير من ان الغرب سيطر على البلدان الاخرى من أجل تمدينها وتعليمها وبالتالي اعمارها، اما الحقيقة ان الآخر الغربي جاء بعد تدمير حضـــارتنا وتفكيك بنانا الاجتماعية والسياسية والقيمية، وعليه وجب وصفه بالاستدمار وليس الاستعمار. ولا تشذ الماركسية عن هذا السياق الغربي باعتبارها جزء من نتاجه وها هو ماركس يدعو الى "اسـتعمار" الشـرق وتحويل بناه الاقطاعية الى الرأسمالية تمهيدا لخلق طبقة عاملة قادرة على الثورة.

وعلى هذا المنوال اســـتطـاع الآخر ادخـال عشـــرات بل مئـات المصـــطلحات الى لغتنا ومناهجنا التعليمية دون التدقيق في ابعادها العقائدية والســياســة وتأثيرها على مســاحة الوعي المجتمعي، نذكر منها اضـافة الى ما سـبق "عصـر الاكتشـافات" وهو بالواقع عصـر الإبادة لحضـارات الهنود الحمر او السـكان الاصـليين للأميركيتين، مفهوم العولمة، صـــراع الحضـــارات، حروب الفرنجة، الاســتشـــراق وغيرها من المفاهيم.

هذا الاختراق الثقافي جعل من مجتمعنا جزر متصـــارعة ومتقاتلة، مسـلوبة الارادة، جزر تابعة لمن يغذي تعصـبها وعنصـريتها، بعيدة كل البعد عن ولائها الوطني والقومي، وعن وحدتها المجتمعية كشرط اساس لنمو المجتمع وتقدمه وترقيه.

في هذا المجال تدفعني خلفيتي العســكرية الى القول، ان الصـــراع الثقافي كما الصـــراع العســـكري هو دفاع وهجوم. وإننا حتى هذه اللحظة في حالة من الدفاع غير المتناظر مع الغرب لما يمتلكه من أسلحة كوسائل وتقنيات معرفية متقدمة جعلته متفوقا علينا. وسنبقى كذلك إذا لم نبادر الى الهجوم، كون الهجوم أفضـل طرق الدفاع. الم يقم البابا بيوس التاســـع بتوجيه القوى الأوروبية المتقاتلة الى حرب موحدة للإســـتيلاء على كنوز الشـــرق مســـوغا هذه الحرب بعنوان ايديولوجي اســـترداد قبر المســـيح؟ وبالتالي أنهى الصـــراع الداخلي الأوروبي على حساب أرضنا وشعبنا وثروتنا.

وفي السياق نفسـه نطرح الأسئلة التالية هل بإمكاننا اعتماد الوسائل ذاتها التي اعتمدها الغرب وخاصـة العلوم الانسـانية الحديثة لدراسـة واقعه ومجتمعاته؟

هل المجتمعات الغربية مكشـوفة كما نحن وتتقبل دراسـتها من قبلنا؟ هل يمكن مثلا القيام بدراسات انتروبولوجية ترصد وتوثق التناقضات الداخلية لهذه المجتمعات؟

هل بإمكاننا القيام بعملية استشراق مضادة للغرب؟

انها اسئلة تتطلب إجابات علمية واقعية، إلا انها اسئلة تحملها خلفية مؤمنة بان مجتمعاتنا لن ترتاح الا إذا انشغل الغرب بنفسه.

* الأمين وليد زيتوني عميد ركن متقاعد في الجيش اللبناني. حائز على دبلوم في العلوم السياسية. تسلّم العديد من المسؤوليات الحزبية، من بينها عميد دفاع ونائب رئيس. يشغل اليوم مسؤولية رئاسة المؤتمر القومي.

[2] راجع مقالة وليد زيتوني في مجلة تحولات العدد 6 شباط 2015.

احتراب المجتمع على نفسه

بقلم الأمين د. نسيب أبو ضرغم

من الوجهة التاريخية، وبصورة عامة، نرى أن التاريخ قد شهد حالات عديدة من احتراب المجتمع على نفسه: مثال الحالة الأندلسية (حرب ملوك الطوائف).

أما بصورة خاصة، وهذا ما يعنينا بالمباشر، هو حرب المجتمع السوري على نفسه، وما وصلت اليه مآلات هذه الحرب، في سياق المواجهة التاريخية التي بدأت منذ مؤتمري بال 1894 في سويسرا، ومؤتمر كامبل ليبرمان – لندن عام 1905 – 1907.

وإنه نظرا لضيق الوقت سنوجز الدراسة بمحاور أربعة، وهي:

1- ما هي أسباب احتراب المجتمع على نفسه؟
2- ما هو شكل ومضمون احتراب المجتمع على نفسه؟
3- ما هي نتائج هذا الإحتراب على المجتمع؟
4- ما هي المواجهة القادرة على انقاذ المجتمع من مسببي فنائه؟

في النقطة الأولى: ثمة سببان جذريان أساسيان، هما ما يغذي حركة احتراب المجتمع على نفسه، وهما:

أ- جهل المجتمع نفسه.

ب- جهل المجتمع لعدوه.

ومن الضروري الإشارة الى أن هذين الجهلين، هما ركيزتا المشروع الصهيو – امبريالي.

المشروع الذي ولد من رحمين متداخلين، مؤتمر بال الصهيوني ومؤتمر كامبل ليبرمان، المشار إليهما أعلاه.

وأما في موضوع الجهل في وجهيه أعلاه، فكلاهما نتاج تتابع سلسلة طويلة من الفتوحات والاحتلالات، وعلى مدى قرون طويلة، غابت فيها حقيقة المجتمع السوري من دائرة الوعي الخاص والعام، بسبب غرق هذه الحقيقة تحت طبقات من ركام التاريخ حيث لم يعد المجتمع الذي ينتمي اليه أعضاؤه مادة وعي ولو بسيطة في أدمغتهم.

يقول سعاده في توصيف هذه الحالة: "نحن وجدنا أنفسنا أننا ابتدأنا من الصفر."

1- قوميتنا مجهولة
2- أصول قوميتنا تفككت وتبعثرت منذ قرون (بسبب جهل الانتماء القومي)

3- لم يكن يوجد مؤسسة واحدة في أمتنا صالحة للإرتكاز في عمل النهوض والبناء القوميين الإجتماعيين.

كانت الفتوحات وعصور الظلام قد فعلت فعلها، بأن فككت المجتمع الواحد الى (مجتمعات) او أقل، فاذا بالأصول التي تتناغم وفق نظام وتدور على محور واحد، لتنشئ وحدة حياة – مجتمعا تاما، فإذا بها كما يقول سعاده: تفككت وتغيرت منذ قرون. هذه (الأصول) كما يسميها سعاده، هي التي ظهرت في تاريخنا الحديث، انشطارات عامودية تجهد لان تكون مستقلة، ومفعمة بروح الشك والبغضاء مع سائر الأصول الأمر الذي يقود الى الإحتراب غير الواعي على المجتمع نفسه. ما خلفته عصور الإحتلالات وطمس الهوية من واقع اجتماعي بائس للأمة السورية كان بالنسبة لمؤتمري بال ولندن المشار اليهما أعلاه، المعطيين الذهبيين للمشروع الصهيو – امبريالي الممثل بالمؤتمرين المشار اليهما، واللذين ينبغي تأبيدهما وجعلهما اساسا لحياة السوريين، لتكون حياة الحرب المستمرة العشوائية المقاتلة لكل حيوية او فرصة توحيدية، (المؤتمران اللذان أنتجا سايكس بيكو ووعد بلفور وسان ريمو... وكلها منتجات الهدف منها تأبيد تخلفنا وانقسامنا)

المحور الثاني:

شكل ومضمون احتراب المجتمع على نفسه وما هي نتائجه.

يجري احتراب المجتمع على نفسه، بسبب غياب وعيه لحقيقته الكلية، لذلك، تقوم أصوله بوعيها المجزوء سرطانات قاتلة متقاتلة، يرعاها العدو ويغذيها وصولا الى زعزعة البنيان وانهياره بالكامل... وبذلك يكون اصحاب الحق قد قدموا دماءهم وأموالهم ومستقبلهم... لينتصر عدوهم دون ان يعمد إلى دفع أية قيمة، أو أن يبادر الى أية مبادرة عسكرية مباشرة من قبله. مثال: داعش الذي كانت اداة خلق حرب في المجتمع وعلى المجتمع بذات الوقت.

وتكون نتيجة هذا الإحتراب، سقوط القتيل والمقاتل والقاتل، القاتل وحده في حرب فناء حضارة بكل ما يعني ذلك.

- ما هي الواجهة القادرة على انقاذ المجتمع من حربه على نفسه؟

في الإجابة على ذلك ينبغي ان نقف على المنهجية التي اتبعها سعاده في مواجهة حرب المجتمع على نفسه.

- بدءا، كان ثمة سؤالان فلسفيان:

1. من نحن؟
2. ما الذي جلب على شعبي هذا الويل؟

أي كانت محاولة معرفة اسباب الكوارث النازلة في المجتمع السوري، والمعرفة هي مفتاح الوصول الى الحلول. وقد كانت إجابته على السؤال الأول، هي: أننا سوريون والسوريون أمة تامة.

وإما إجابته على السؤال الثاني، فهي في كتابه الى محاميه حميد فرنجية يقول:

"وبعد الدرس الأولي المنظم، قررت أن فقدان السيادة القومية، هو السبب فيما حدث بأمتي، وما يحلّ بها..."

هناك فقدان للسيادة، لأنه كان ثمة جهل بالمجتمع الأمر الذي أسقط ليس فقط معرفة المجتمع لنفسه... بل معرفة وجوده ووعيه وحقيقته...وكل ذلك مؤسس على غرض احداث نهضة قوية اجتماعية.

"المجتمع معرفة، والمعرفة قوة" يقول سعاده، وبهذا يكون الفكر والثقافة السوريين قد قطعا الطريق على زحف الفناء القومي، الذي كان الهدف الأساس والشرط الأساس لنجاح زرع الغدة السرطانية في قلب بلادنا.

- جهلان قاتلان موروثان اعاقا حركة الحياة المستقلة قرونا.

- مؤتمران عدوانيان: رســـما نظاما عالميا قائما على تأييد تخلف الآخر.
- سـؤالان فلسـفيان يؤكدان ضـرورة ان تكون الأداة المعرفية في عملية فهم الواقع والانتصار عليه، لها الأولوية.

وردان معرفيان يحددان منّ نحن: فيقول نحن ســـوريون والسوريون أمة تامة، وأيضا ما الذي جلب على شعبي هذا الويل فيكون الرد، بفقدان الوعي القومي، وبذلك عادت الدائرة لنقطة البيكار.

- مع المجتمع معرفة والمعرفة قوة، ورســـوخ الوعي والوجدان القوميين، ليس فقط تقف حرب المجتمع على نفســـه، بل تبدأ عملية بناء المجتمع للخير العام والحق والجمال.
- وتعود نظرية المجتمع الســـوري الى الحياة والكون والفن بأبهى تجلياتها.
- وتعود المصالح الصغيرة الجزئية المتأخرة لتنتظم في سياق المصلحة المجتمعية الكلية.

صوت سعاده

إنها حرب مميتة، بين نهضـــة العز، وبين نهضـــة الذلّ.. إنها حرب مميتة، نسـير فيها إلى نهايتها، فإما عزّ لهذه الأمة، وإما ذلّ لها!

وصفوف العز قد أصبحت معروفة واضحة، وصفوف الذل قد أصبحت معروفة واضحة. فالوجهان يتقابلان، والنتيجة الأخيرة آتية حتماً!

إنّ مرجل النهضة يغلي، وإنّ هذه النهضة تزمجر، والويل ثم الويل لمن يحاول الوقوف في طريقها!

إنّ أمرَّ حرب هي الحرب الداخلية، الحرب التي يثيرها علينا الذين يدعوهم الشـــرف القومي إلى المحاربة معنا فلا يحاربون إلا علينا.

إنّ رفقاء من الجنود مكلفون الإتيان إلى هذا المكان لمنع حركة تولد الأخوّة في الشـــعب من توليد هذه الأخّوة!

بأية حكمة وبأي منطق، لسنا ندري!

كأن هذا الشعب قطيع من البشر لا يقدّر ولا يعي ولا يريد!

إن زمن القطعان قد انتهى، وابتدأ زمن الجماعة المدركة الحرة!

إننا نحيا في عهد النهضـــة القومية الاجتماعية. إننا نحيا في العز والقوة. إننا لم نتعدّ على أحد، ولم نهاجم أحداً، ولكننا لسنا نعاجاً إذا هوجمنا بل أسوداً.

حرب المجتمع على نفسه

بقلم الأمين فهد الباشا

العنوان وحده كافٍ لأنْ يستوقفك مُستنفَرًا للتأمّل بكل هذا المصاب به لبنان دولةً ومجتمعًا، ما انفكّتِ الويلاتُ رفيقةَ دربه، أقلّه منذ اعلانه دولةً "مُستقلّةً"، الى ما يعانيه من قلّةٍ في كل شيء في أيامنا الأخيرة. أتراها اياما اخيرة؟ "حرب المجتمع على نفســـه"، تقول بطاقة الدعوة فأسمعني سائلاً: أيصحّ أنّه مجتمعٌ، وهو لم يستوفِ شروطَ وعيِه ذاته؟

حين تلقّيتُ الدعوة الى المشـــاركة في ندوة تحت هذا العنوان، عادت بي الذاكرة الى اربعة وثلاثين انطوتْ. وفي جولة الذاكرة حول هذاك الزمن، برز الموضوع نفسه عنوانا فرعيّا في محاضرة كثيفة المغازي. محاضـرة كان أعدّها ليلقيها في احدى جامعات انكلترا سنة 1990، المُجيدُ قراءةَ علامات الأزمنة المفكّرُ الاستشرافي يوسف الأشقر. وكان من الحســـن والمفيد حين أُرجئت، أن ضـــمّها كتابُه "الســـلم الاسرائيلي والحرب اللبنانية"، الصادر عن دار فكر في السنة عينها. ولولا أنّ حرب المجتمع على نفســه ما زالت مستمرّة بصـيَغٍ متنوّعة ومتجدّدة، وبضـراوة قلّ مثيلها، لقلنا انّ يوسف الأشقر لم يترك في محاضرته القيّمة تلك، مزيداً لمستزيد من بعده.

ولســـت أرى في اســـتعادة العنوان اليوم الّا انّ المقصـــود به لبنانُ نموذجاً. فما يجري فيه ينســـحب، وان بتفاوت في الأســـاليب، على سـائر كيانات الهلال الخصـيب بأحزانه، جرّاء حروب الآخرين عليه مشفوعة بحروبه على نفسه.

وعليه، فالإضـــاءة على ســـياق حرب المجتمع على نفســـه في لبنان تُسـهم بالضـرورة، في الإضـاءة على ظلمات ما يعانيه في المصـير سواه.

أمّا وادارةُ الشرّ المنظّم المشرفة من الخارج على ادارة حرب المجتمع على نفســـه عندنا، جاهدة في تطوير وســـائلها والعدّةَ والعتاد. فعلينا، كبقايا معنيين لا يقصـــدون في الحياة لعِبا، علينا التســـلّح اقلّه بمزيدٍ من الحيطـة والحـذر في قراءة الاحـداث، ومـا يرافقهـا من دعوات وندوات الناهين عن المُنكَر المرتكبين له.

فحرب المجتمع على نفسه جبهاتها أكثر، تعقيداتها أشدّ وأدقّ من أيّ حرب خارجية تقليدية، قد يضـطر المجتمع الى مواجهتها في صـراعه من اجل البقاء والارتقاء. انّ أيَّ عدوٍّ مكشـــوفٍ معروف هو أقلّ خطراً، مهما عظم جبروته من أيّ عدوّ في الداخل، يتزيّا زيَّ الدفاع عن المجتمع وعن ســـلمه وســـلامته. "فاحذروا الذين يأتونكم بثياب الحملان وداخلُهم ذئابٌ خاطفة."

ومن قبلُ ومن بعدُ، ماذا يعني لنا أنّ ما كان تعبيرا صالحا وصحيحاً، عن واقع عانيناه منذ أربعة وثلاثين عاما ما زال هو ايّاه تعبيرا صالحا وصحيحا في توصيف ما نعانيه اليوم، وما سنعانيه في غدٍ؟ انّ أملاً ما كان المجتمع أو بعضُـــه يعقده على الذين تعاقدوا على امرٍ يساوي وجودهم، أن يتصدوا هم قبل سواهم لمثل حرب المجتمع على نفسه، انّ هذا الأمل خاب او قارب النفاد.

السؤال الذي يقضّ راحة البال في كل حال: هل نجحت "ادارة الشرّ المنظّم" في الخارج وفي الداخل، في اســـتدراج حرّاس المجتمع، مستغّلةً أمراضـاً وأغراضـاً لدى ذوي النزعات الفردية، الى الوقوع في فخّ حرب الحرّاس على أنفسهم؟

والغفلة المستمرة تضاعف الخشيةَ من ان ينجح المشرفون على ادارة الحرب علينا من الخارج في تحقيق اهدافهم، التي ليس أقلّها زعزعة

البنيان بمخزونه القيَمي، بل اندحارنا دولةً ومجتمعاً تمهيدا لانحلال الدولة واندثار المجتمع...

العناوين في حربنا الضـروس، وفي تطوّر الخداع، ما عادت تنسـجم مع المضـــامين. والمكتوب في مثل حالنا، لا يُقرَأُ دائما من عنوانه. الحربُ منّا أو من سوانا علي*نا جارية ومستمرةٍ "وفق خطّة نظاميّة". وليس نجاحها مستغرَباً الّا بالقدْر الذي يُستغرَبُ فيه تلكّؤُنا عن القيام بخطّة نظاميّة معاكســة. وانّها لَمناســبةٌ أن ندعو الجهةَ الداعيةَ الى ندوة "حرب المجتمع على نفســه" الى اســتكمال المتوخّى منها بدعوة الى ندوة حول أسباب فشل قيام الخطّة المعاكسة، خطةً تضـع حدّا لحرب المجتمع على نفسه، وتوقف جنازة في موكب التاريخ.

صوت سعاده

أما الأخطار العظيمة التي أصبحت محيطة بلبنان، خصوصاً بعد كارثة فلسطين وبسبب استفحال الأحقاد التي توغر سياسة الانعزال التام الصدور بها، فهي تنذر بأشأم الكوارث وأسوأ أنواع الاستعباد.

إنّ الحزب القومي الاجتماعي استطاع بجهد جهيد رفع كوارث حروب دينية في عدة مناسبات أثيرت في لبنان خاصَّة وسورية عامة، وما تزال الحزبية الدينية تلعب في كل خفية من خفايا الشؤون السياسية الداخلية في الجمهورية اللبنانية.

إذا كانت الوجعية العروبية تمتاز بإبقاء التفسخ الداخلي على حاله وتبذير القوى السورية في محاولة جمع كوّنته الطبيعة متفرقاً، فإنّ الوجعية المتلبننة تمتاز بالإمعان في التفسيخ الداخلي الذي يزيد الأمة تفككًا وضعفًا.

لم تكن الوجعية الجديدة المتلبننة أقل إفلاساً في فلسطين ولبنان من الوجعية الجديدة المتعربة، ونكبة اللبنانيين بالتلبنن المتفرنس ليست أقل من نكبة الفلسطينيين بالتعرب.

إذا كان هنالك سبب موجب للاستقلال الإداري أو السياسي فليس هنالك ما يوجب الانفصال عن القومية السورية التي هي نتيجة الواقع الطبيعي والاجتماعي السوري والتي ينادي بها اللبنانيون المستقلون عن الإرادات الأجنبية!

بداية عالم لم تتحدد معالمه

بقلم ريجينا صنيفر*

أصبح من الصعب اليوم في عالم ال VUCA... التكلم عن مجتمع.

في هذا العالم... تقولون مجتمع وكأنكم ما زلتم تعيشـــون في القرن العشـــرين وعن اي مجتمع تتحدثون في العالم الرقمي في عالم ال VUCA* هذه الاستراتيجيا الغربية السارية منذ ما بعد سقوط جدار برلين والمرتكزة على طـاقـة التكنولوجيـا الرقميـة ومـا وراءهـا من ايديولوجيا؟

في هذا العالم الرقمي أصـبح المجتمع مصـطلح ضـبابي، غامض، سـائل ومبهم. ما يعزينا ويقلقنا في آن معا ان المشـكلة اصـبحت عالمية.

ان الأسئلة التي تطرح نفسها اليوم كثيرة وكبيرة:

– هل المجتمع، هذه الحلقة الوسـيطة بين الانسـان والدولة لا يزال ممكنا في عصر تمييع الدول والقوميات؟

رافق ظهور شـبكة الانترنت آمال بتحويل العالم إلى مكان أفضـل و"قرية صـغيرة" "من دون ملوك ورؤساء وتصـويت" حسـب قول أحد مؤسـسـي الشـبكة، ديفيد كلارك. لكن سـرعان ما حُصِـر مسـتخدم الانترنت في مساحات افتراضية تشبه "الحدائق المسوّرة" فتحجبه عن عالم الواقع. وها هو الانسـان يتحول وباسـم الحرية إلى مواطن رقمي إنسان اللامكان المتحرر من قيود الزمان.

في عالم افتراضي لا مجال للتنوع فيه.

المجتمع السـائل كل المكونات تتشـابه. وكأنها مسـتنسـخة من دون هوية وشخصية. لا دور للجزئية. لا مادة. لا روح.

وفي زمن تقليص المكان والزمان، نسـمع عن سـلسـلة نهايات: بعد نهاية التاريخ ل Fukuyama أو تثبيت عولمة الديمقراطية الليبرالية كصـيغة نهائية للبشـرية، يحكى عن نهاية الجغرافيا Paul Virillio للتخلص من قيودها.

العولمة المرتكزة على التكنولوجيا تشن حربا على الجغرافيا بكل معنى الكلمة. نحن نشـــهد محاولة إلغاء المكان الجغرافي. الأرض عادت لتكون مسطحة حسب توماس فريدمان (Thomas Friedman).

الثمن باهظ على صعيد الإنسانية والمجتمعات.

السـياسـة ولدت في الجغرافيا وتحديدا في المدينة Polis. التي كانت مكـان تلاقي ونقـاش وحوار بمعنى اب Agora. لتحـديـد القيم والمبادئ المشـتركة لبناء أمة على جغرافيا محددة. أين الفضـاء العام اليوم. في ال cloud? الفضاء الافتراضي.

اين المجتمع مع نهاية الاسـتقرار؟ هشـاشـة ضـبابية هجرات عوض الثبات في الأرض والمكان. من يثبت في جغرافيا أصـــبح وكأنه في إقامة جبرية.

تآكل وتفتيت الروابط الاجتماعية على الصعيد المحلي.

تلاشي الهويات التاريخية والفردية

إضعاف المتحدات الاجتماعية لصالح تجمعات آنية hors sol.

تحت شـــعار تحرر الإنســـان من الواقع والمكان والجغرافيا والتاريخ لخلق انسان جديد، انسان اللامكان واللازمان.

كنا نعتبر ان لا سياسة من دون جغرافيا وان لا دولة من دون سيادة. لكن اليوم ان مفهوم الدولة المعنية بشـــؤون مواطنيها ومجتمعاتها والمكلفة بإدارتها وحمايتها، مفهوم في طور الزوال.

الضرائب تتفلت من يد الدول. والإمساك بالمعلومات data والأمن. وإلغاء بعض من القوى العاملة المحلية.

ان الهوة تتسع يوما بعد يوم بين الدول التي تنظم سياساتها المحلية والسلطات التي اصبحت تقرر فعليا في مجالات المال والاقتصاد والصحة والتربية والثقافة والأمن، متجاهلة الحدود والسيادات، تعاقب، تبيد شعوب وتستعمر..

–هل المجتمع لا يزال ممكنا في زمن الغرب الأقصـــى المعرفي الجديد؟ هل المجتمع لا يزال ممكنًا في زمن ما بعد الحقيقة مع شبكات التواصل اللإجتماعية والأخبار المزيفة، وطمس الحدود بين العالم الحقيقي والفضاء الافتراضي.

اســتهدفت قرون اســتعمارية العقول من خلال الإغواء أو الترهيب باسم غزو الأسواق وربحية الشركات والسيطرة على المستهلكين.

أما اليوم وقد أصـــبحت قدرة الســلطات الاســتعمارية الجديدة مع التكنولوجيات الحديثة أكثر تعقيدًا وفعالية من خلال تحولها إلى شكل غير مادي مع القوة الناعمة، فها هي تشـــن معركتها الجديدة على الانسان عقلا وجسدا، كساحة لمعركة القرن الحادي والعشرين. في زمن ما بعد الحقيقة مع شـــبكات التواصـــل اللإجتماعية والأخبار المزيفة، وطمس الحدود بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضـــي، يستعمل المستعمرون الجدد هذه التكنولوجيات كأسلحة صامتة وماكرة أكثر فعالية وأقوى وضررًا من البارود والأسلحة النارية.

نحن في زمن تسييل المجتمعات حسب Zygmunt Bauman عالم الاجتماع. ومع انهيار المؤسسات الأممية والقانون الدولي والهويات الجماعية والفردية اصبحت الانسانية برمتها في حالة طوارئ شاملة مع تجريد الانسان المستعمر من إنسانيته كما الحال مع الانسان الملون، والعامل والفقير، والمختلف دينيا أو عرقيا باسم عالم أفضل، يحلم الإنســـان المعزز بالتكنولوجيا بأن يكون أمامه " متضـــائلون". اشخاص محرومون من الذكاء، منظمون في مجموعات غير متمايزة في سجن افتراضي.

ان الإنسانية التي رأت النور في بقاع مشرقنا الخصيب أمام خطر زوال والعالم في حالة طوارئ شاملة،

في زمن الحداثة الســائلة حيث تتفكك التقاليد والروابط والثقافية حتى تذوب. لا ثابت. كل شيء يتحرك. لا صلب. والفرد السائل في حالة خوف وعدم استقرار دائم. الأمن أصبح القيمة الأهم التي تحل مكان الحرية.

انهيار الإنســـان والدول والســـياســـة والجغرافيا يعني حتما انهيار المجتمعات. أصبح العالم يشبه سفينة يكتشف فجأة ركابها انها من دون قبطان، ثم ينتبهون ان القبطان افتراضـــي تحكمه الآلة والذكاء الاصطناعي. تختار الآلة والسلطة التي تديرها من منظورها لما بعد الإنســـانية transhumanisme، من يبقى آمنا وحيا، «وســـيقســـم الركاب بين المختارين (أولئك الذين ســـتزيدهم التقنية والذين ســـتكون لديهم فرصة للبقاء على قيد الحياة) والساقطون (الآخرون homo“ sapiens”).

نحن في بداية عالم لم تتحدد معالمه ونشـهد زوال عالم وقد كشـفت حرب غزة وكل التطورات الاقليمية والعالمية ان المنظومة الغربية وادواتها من المنظمات الدولية فقدت مصـــداقيتها وباتت شـــرعيتها ومرجعيتها الأخلاقية والقيمية موضع شكوك مشروعة، وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة وادارتها التي حول ميثاقها الى حبر على ورق.

التحول الذي نشـهده هو تحول جذري وعميق. والأسـئلة المطروحة هي تحديات.

الحل ليس سحري ولا فوري.

العودة إلى نظرية القومية والأمة الحيّة حيث تفاعل الجماعة القومية مع بيئتها الطبيعية تتم فيها وحدة الحياة هو ضـــرورة. احياء تراث الجذور التي لا تنبت في الغيوم. إعادة بناء الأمة الحيّة حســـب المنهج المدرحي الذي اقترحه سعاده وهو منهج شمولي تتشابك فيه العوامل المادية والنفسية وتتكامل وتترابط بشكل عضوي في عملية تفاعل مستمر .

بالمجالات السـياسـية والاجتماعية وحتى الفردية. انه يعني ايضـا فصل التاريخ عن الجغرافيا والمؤسسات عن القيم والمال عن العمل والهوية الفردية عن الجسد والافتراضـي عن الواقع والفكر عن القلب وغيره. فصل مزيف تضيع معه المادة والروح. نظرية المدرحية التي طرحها الفيلسـوف انطون سـعاده التي دمجت المادة والروح حتى لا يكون للفصـل بينهما مجال هي إطار صـلب يمكننا ان نرتكز عليه لبناء جماعي لنظام الغد مستمد من حضارتنا المشرقية ومجتمعاتنا المتنوعة ونترجمه عمليا. وان كانت المدرحية هي الحل؟

"إنها وحدة الروح، ووحدة الروح هي شـخصـية الأمة الحيّة، فإذا قلنا اننا قد أصـــبحنا أمة حيّة، نقول ذلك لأنه قد أصـــبحت لنا وحدة الروح."

أنطون سعاده

* Volatile, Uncertain, Compexe Ambigu

* Volatility, Uncertainty, Complexity، Ambiguity

* ريجينا صنيفر كاتبة ومتخصصة في الجغرافيا السياسية. لها مجموعة من الكتب منها: "حروب مارونية"، "ألقيت السلاح - امرأة في خضم الحرب الأهلية"، بنتايل، إبنة الأبجدية"، و"ضياء في ظلمات المشرق – من مذكرات جولييت المير سعاده"

السيادة الثقافية...

بقلم الرفيق الدكتور سليم مجاعص*

منذ سنوات ، أشَّرت في كتابي " القوميَّة السُّوريَّة " إلى التَّوازي الفلسفيّ – المفهوميّ بين المبدأ الأساسيّ الأوَّل والمبدأ الأساسيّ السَّابع من مبادئ الحركة القوميَّة الاجتماعيَّة ، وهذا التَّوازن يتعلَّق بموضوع السِّيادة أوَّلاً ، فإذا كان المبدأ الأساسيُّ الأوَّل يعلن السِّيادة القوميَّة ويؤسِّس لها فإنَّ المبدأ الأساسيَّ السَّابع يعلن السِّيادة الثَّقافيَّة ويؤسِّس لها ، لذلك لم يجد سعاده في إنشاء عمدة للثَّقافة في مدَّة غيابه أيَّ ابتكار فذّ كما ادَّعى غسَّان تويني في دفاعه عن فايز الصَّايغ بل وجد تطبيقًا عمليًّا لطبيعة الحركة القوميَّة ، فالسِّيادة الثَّقافيَّة لازمةً للسِّيادة القوميَّة دون أن يعني ذلك شوفينيَّةً حرق الكتب الأجنبيَّة أو الانغلاق على الثَّقافة العالميَّة ، بل رفدها بمواهب الأمَّة السُّوريَّة وإنتاجها .

في المبدأ الأساسي الأول يتحدث سعاده عن سوريتين: سورية الوطن وسورية الأمة، والتشابك المصيري بين هاتين السوريتين، فسورية الوطن مرتكز أساسي لتكون سورية الأمة، ومصدر حيوي لقيامها، وسورية الأمة قوة ضرورية لحفظ سلامة سورية الوطن. وفي المبدأ الأساسي السابع، يتحدث سعاده أيضاً عن سوريتين: سورية الثقافة التاريخية، وسورية النهضة. والسورية الأولى هي التاريخ الثقافي الذي نفتخر به والذي يغذي طموحاتنا الثقافية، والسورية الثانية، سورية النهضة، هي الوعد بمتابعة المسيرة الثقافية الخلّاقة ورفد الثقافة الإنسانية العامة بدفع جديد من مواهب أمتنا.

ويتمظهر هذا التوازي بين المبدأين في نتاج سعاده. لقد كان المبدأ الأول هو الدافع والمسبب لعمل سعاده على كتاب "نشوء الأمم" فهو عندما توصل الى الإجابة على السؤال الشهير بأن فقدان السيادة القومية هو سبب الويل القومي، انطلق يدرس ويبحث في مسألة القومية وتكّون الجماعات وحقوقها، فمن الطبيعي ان نقول ان المبدأ الذي يعلن السيادة القومية هو بديهيا المبدأ الدافع الى الكتاب المعني نشوء الأمم. وبالتوازي نقول ان المبدأ السابع كان الدافع والمسبب المفهومي لكتاب "الصراع الفكري في الأدب السوري" لان غياب السيادة الثقافية هو أحد اسباب الويل الثقافي المنتشر في ربوعنا. وكما ان تأسيس وحماية السيادة القومية ضروري لنهضتنا القومية كذلك حماية السيادة الثقافية ضرورية لجمال حياتنا.

وقبل الانتقال الى تناول مستلزمات السيادة الثقافية، أرى انه من الضروري الإشارة انه قد حان الوقت لكي نضيف الى الأسماء التي أوردها سعاده في شرح المبدأ السابع اسمي الماريتين: ماري عجمي

وماري زيادة، فهما بمقام الكواكبي وجبران إن لم نقل انهما يفوقانهما بمراحل. ويا خجلي اننا تأخرنا حتى اليوم لنقول بذلك.

تفيض أدبياتنا الحزبية بوصف عملنا كحركة قومية في إعلان السيادة القومية والدفاع عنها وهي كانت تفيض ايضًا في إعلان السيادة الثقافية والدفاع عنها، لكن هذه الثروة الثقافية في خطر الضمور وعلينا التنبه الى ضرورة إغنائها. إن الحرب الثقافية هي عنصر مستدام في صراع الأمم وتتعرض أمتنا اليوم الى حرب ثقافية شرسة متعددة المستويات والآليات والأساليب، لا بد لنا من خوضها لإنقاذ هويتنا الثقافية وتحقيق استقلالنا الثقافي.

لقد تحدينا وحاربنا في تاريخنا الحزبي محاور هذه الهجمة الثقافية ولا بأس من استعادة هذا التاريخ لنستمد منه العزم والوضوح والتصميم:

لقد حاربنا محور التجهيل الثقافي خاصة في البرامج التربوية التي كانت ولا تزال تحت الهيمنة الخارجية بفضل المذهبية الدينية أو الاستثمار الاستعماري، وقد تصدينا في الماضي الى اتباع المنحى المذهبي في البرامج التعليمية، ودعونا الى إتباع المنحى المعرفي بدل المنحى المعلوماتي (انظر محاضرة سعاده في مؤتمر المدرسين، 1948).

ولقد حاربنا محور التزوير الثقافي، وتصدينا للأيدولوجيات التي تعمل على تزوير الهوية الثقافية من قبل النزعة اللبنانية الفينيقية او المسيحية، أو النزعات الكيانية الاخرى (الفلسطينية، العراقية، الأردنية الخ) أو النزعات العروبية الدينية او العنصرية.

ولقد حاربنا محور الإلهاء الثقافي، الذي يشجع ويبرر ثقافة السلعة، وثقافة الترفيه والسطحية الفكرية، حاربنا هذا المحور بإيقاظنا للوجدان القومي وإعلان التزامنا بالمسؤولية عن المصير القومي برمته.

ولقد حاربنا محور الاقتلاع الثقافي، وهو الوجه العام للإستشراق، الذي يذم الثقافة الاصلية، ويدعو الى استبدالها باعتماد الثقافة الاستعمارية، تحت تمويه العولمة والثقافة الإنسانية الواحدة التي لا دور فيها للثقافة الادنى!

ولقد حاربنا محور تغييب ثقافة القيم المجتمعية، وإحلال عمومية القيم الفردية حيث يصير تغييب نظرة المجتمع القيمية تحت غطاء الحقوق الفردية التي تصبح قيمًا عامة بدل ان تكون حقوقًا.

وهناك اخيراً محور خطير علينا التنبه اليه، هو محور المثقفين المرتزقة المتلبسين بعباءة الخير والحق المزعوم وأريد ان اتناول مثلا واحدا للتدليل:

يُعتبر نبيه أمين فارس من المفكرين المؤسسين للفكر القومي العربي وهو قد تولى رئاسة دائرة التاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت لسنين عديدة، وقد اعتنى "مركز دراسات الوحدة العربية" في بيروت بنشر أعماله الكاملة حديثاً. لكن لهذا المثقف السوري تاريخ مريب خلال الحرب العالمية الثانية إذ التحق بمكتب الدراسات الاستراتيجية الأميركي، وهو الاسم الأصلي لمكتب المخابرات الأميركية حاليا"، بتأييد استاذه فيليب حتي، وكانت مهمته رصد النشاط السياسي للجاليات السورية في شمال وجنوب القارة الأميركية، ورفع التقارير بذلك من منظار خطر هذه النشاطات على سياسة الولايات المتحدة. ونجد في وثائق تقاريره المتوفرة، نية جامحة ضد المواقف التحررية، ودعوة للتنكيل بالسوريين اللذين يعربون عن مواقف لا يراها هذا "المثقف" متوافقة مع تصوره للمصالح الأميركية، وقد تناولت تعامله مع الحركة ودسه ضدها في الجزء الثالث من سيرة سعاده بقلمي.

نحن في الحركة القومية نؤمن بالدفاع عن السيادة القومية والسيادة الثقافية، وعلينا أن نثابر في هذا الايمان وهذا الصراع بوعي وشجاعة وصلابة.

زاوية من زوايا النظرية الاجتماعية في فكر أنطون سعاده

بقلم الدكتور الرفيق رامز حوراني*

إنَّ فكرَ أنطون سعاده الاجتماعي، انطلقَ من قاعدتين أساسيّتين:

الأولى، توصيف المجتمع السّوري القائم حاليًّا، من جميع جوانبه السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة. وفي هذه القاعدة، تتمّ معاينة الواقع، لتحديد مشاكله التي تعيق تطوّره لمعرفة الحلول المطلوبة، ولوضعه على سكّة التقدّم، ومن هنا تصبح الحاجة ملحّة للقاعدة الثّانية، وهي طرح الحلول الموضوعيّة، للخروج من الواقع المتردّي إلى المستقبل المنشود.

إنَّ سعاده لم ينظر إلى نفسه على أنّه قائدٌ سياسيٌّ فقط، همُّه الوحيدُ العملُ على الوحدة القوميّة السوريّة الطبيعيّة، بل إنّه صاحبُ نظرةٍ شاملةٍ للحياة والكون والفنِّ، يمكنه على أساسها وانطلاقًا من مبادئها الوصول إلى نظامٍ ثوريٍّ جديدٍ في المجتمع السوري.

لذلك، لا يمكننا فهم طبيعةِ الحركة السياسيّة للنهوض القومي عندَه، دونَ ربط ذلك بالأهداف الثوريّة البعيدة التي كان يصبو إليها.

وكذلك لا يمكننا الإحاطة بذلك بشكلٍ كاملٍ، إلّا بفهم نظرته الاجتماعيّة للمجتمع والإنسان، وما ينتج عن ذلكَ من مفاهيمَ مشتركةٍ للجماعةِ المعيّنةِ في مجتمعٍ معيّن.

إنَّ سعاده أَولى اهتمامَه لما هو كائنٌ في مجتمعه، ليس رغبةً بالتوصيف، وإنّما كانت غايتُه من ذلك الوصولَ إلى ما يجبُ أن يكون. هذا ما جعلَه يدرسُ الواقعَ لمعرفةِ خصائصِهِ الموضوعيّة، كخطوةٍ أولى وضروريّة، في عمليّة تغييره وتطويره.

وأنطون سعاده انطلقَ في أبحاثِه الاجتماعيّةِ من دراسةٍ وفهمِ الاجتماعِ البشريّ أوّلًا، لمعرفةِ العواملِ المؤثّرةِ فيه، ليطلَّ منهُ على فهمِ مجتمعِهِ وطبيعتِه، وتحديدِ الوسائلِ والإمكانيّاتِ المطلوبةِ والمناسبةِ، لبدءِ عمليّةِ البناءِ الاجتماعيّ الجديد.

وحتّى يكونَ كلامُنا علميًّا وموضوعيًّا في الحديث عن نظرةِ سعاده الاجتماعيّة، علينا أن نعترفَ منذ البدايةِ بأنَّ سعاده لم يعتمد في أبحاثِه ودراساتِه على منهجٍ اجتماعيٍّ معيّن، وهو لم يصرّحْ بذلكَ، ولم يُشِر إليهِ في كتاباتِه. يشاطرُنا الرأيَ في ذلك الدكتور عادل

ضـاهر في كتابِه "المجتمع والإنسـان"، حيثُ يقول: "قُلنا إنّ سـعاده ليسَ صاحبُ منهجٍ خاصٍ به، ولا هو أعلنَ تبنّيهِ لمنهجٍ معيّنٍ."[1]

إنَّ السّـائدَ في علم الاجتماعِ منهجان: المنهجُ التحليليُّ الذي ينطلقُ من دراسـةِ الجزئيّاتِ ليصـلَ إلى الكلّيّات، أي دراسـةِ عيّناتٍ من السـلوكاتِ الفرديّةِ التي تكوّن المجتمع، لأنَّ المجتمعَ في محصّـلتِهِ الأخيرةِ مجموعـةٌ من الأفراد. والمنهجُ التركيبيُّ الـذي ينطلقُ من الكلّيّاتِ إلى الجزئيّاتِ، أي أنَّ الفردَ كائنٌ يستمدُّ خصائصَهُ الأساسيّةَ من حتميّةٍ أشملَ منه هي حقيقةِ المجتمع.

برأينا فإنَّ أنطون سـعاده كانَ في أبحاثِهِ الاجتماعيّةِ قريبًا جدًّا من أصحابِ المنهجِ التركيبيّ، ويبدو ذلك واضحًا وجليًّا في كتابِهِ العلمي "نشوء الأمم".

فأنطون سـعاده ينظر إلى المجتمعِ على أنّهُ أشـملُ من مجموعٍ منَ الأفرادِ، وبأنَّ الوقائعَ والأحداثَ والتّفاعلاتِ الاجتماعيّةِ المركّبةِ ليست مجرّدَ وقائعَ نفسـيّةٍ مرتبطةٍ بكلّيّتها بحياة الفرد. فسـعاده يرفضُ الفردانيّـةَ المنهجيّـةَ، ويتبنّى النظريّـةَ الاجتمـاعيّـة، وعنـده: إنَّ فهمَ الوجودِ الإنسـانيّ على الصّـعيدِ الفردي غيرُ ممكنٍ بمعزلٍ عن فهمِ الإطارِ الاجتماعيّ لهذا الوجود الإنسانيّ.

المجتمع هو واقع موضوعيّ:

المجتمعُ في فلسفةِ سعاده الاجتماعيّة واقعٌ موضوعيٌّ في ذاتِه. وهذا يعني أنَّ وجودَه، وإن كان بالضـرورةِ ملازمًا لوجودِ مجموعةٍ معيّنةٍ من الأفرادِ، غيرُ حاصلٍ من عناصرَ صادرةٍ بكاملها من وجود هؤلاء الأفراد، فهو يتكوّنُ من تفاعلِ أفرادٍ معيّنين على الصّـعيدِ المادّي والنّفسـي، ولكنّه في الوقتِ نفسِـهِ، يتخطّى هؤلاءِ الأفرادَ، لأنّهُ يحتوي على عناصرَ غير قائمةٍ أصلًا على وجودِ هؤلاءِ الأفرادِ.

إنَّ المجتمعَ كواقعٍ موضـوعيٍّ، هو قبل كلّ شـيءٍ واقعٌ تاريخيٌّ، وهو بذلكَ يشـكّلُ نسـقًا ممتدًّا في الزّمانِ بشـكلٍ تطوّري، بحيثُ تكونُ كلُّ مرحلةٍ من مراحِلِه مرتبطةً بصـورةٍ وثيقةٍ بالمراحلِ التي سـبقتها، ومن هنا نفهمُ قولَ سـعاده: "أطوارُ الاجتماعِ ليست مقاطعَ مستقلًّا الواحدُ منها عن الآخرِ كلَّ الاستقلال"[2]. وهذا يعني بأنَّ سعاده يتبنّى بصورةٍ غير قابلةٍ للشـكّ موقفًا تطوّريًّا تجاه طبيعةِ المجتمعِ الإنسـاني، وهذا ما جعلَ سعاده يبحثُ في كتابِهِ كيفيّة نشوءِ الأممِ على الأرض، قبلَ البدءِ بتأليفِ كتابِه "نشوءِ الأمّة السّوريّة" والذي لم يرَ النّورَ لأسبابٍ عديدةٍ.

وإذا اتّفقنا بأنَّ سعاده قد تبنّى المنهجَ التركيبيَّ في أبحاثِهِ الاجتماعيّة، فهذا يعني أنّه حتمًا سـوفَ يتبنّى النظرةَ التطوّريّة في الاجتماعِ الإنسـاني، والتي تُعتبرُ أنَّ النواميسَ والقوانين التي تخضـعُ لها الظواهرُ الاجتماعيّةُ هي تاريخيّةٌ بالضّـرورة. فإذا كانَ المجتمعُ حاصلًا من أطوارِهِ الثقافيّةِ السّابقةِ، فعندها تصبحُ عمليّةُ درسِ البنى الحاضرةِ وتفسيرُها لمجتمعٍ معيّنٍ محاولةً لاستقصاءِ الروابطِ القائمةِ بين حاضـرِ هذا المجتمعِ وماضـيهِ. ولكنّنا في الوقتِ نفسِـهِ، نتركُ مجالًا كبيرًا لمراجعةِ ما نقولُهُ، ومناقشـتِهِ برويّةٍ، حتّى لا نُتَّهَمَ بأنّنا نحمّلُ فكرَ أنطون سعاده مسائلَ وقضايا قد يراها البعضُ خارجَ سياقِ فِكرِهِ، وبخاصّـةٍ أنَّ سـعاده يعتبرُ أنَّ معرفةَ القوانينِ والنواميسِ الاجتماعيّةِ مسـألةٌ بَعديّةٌ لا قَبليّةٌ، وأنَّ كلَّ القوانين التي نكتشِـفُها مستخرجةٌ من الحياة، ولذلك لا يجوزُ، حسب اعتقادِهِ، أن نسمحَ لأيِّ ناموسٍ بأن يتضاربَ مع المجرى الطبيعيّ للحياةِ."[3]

وبعد كلِّ ما تقدَّمَ يحضرُنا السؤالُ التالي: هل يذهبُ سعاده في تبنّيهِ للمنهجِ التركيبيّ إلى قبولِه بتبنّي الحتميّة الغائيّة؟

[1] الدكتور عادل ضـاهر: **المجتمع والإنسـان، دراسـة فلسـفة أنطون سـعاده الاجتماعيّة**، منشـورات مواقف، سـلسـلة أعلام النهضـة الحديثة، ط1، 1980، ص14.

[2] أنطون سعادة: نشوء الأمم، الكتاب الأوّل، ط2، دمشق، 1951، ص88.

[3] د.عادل ضاهر: المجتمع والإنسان، ص21.

إنّنا لا نجدُ في كتاباتِه أيَّ إجابةٍ لأسئلةٍ من هذا النّوعِ، ولكنّنا نرجّحُ، من خلالِ فهمنا لنظريّته الاجتماعيّة، بأنّه كان يؤمنُ بحتميّةِ التطوّرِ، ولكنّهُ لا يؤمنُ بحتميّةِ اتّجاه المجتمع، في حركته الغائيّة، في اتّجاه تبنّي نظامٍ اجتماعيٍّ معيّنٍ، بدل أيّ نظام آخر، ولا بحتميّةِ وصـــولِ كلِّ المجتمعاتِ إلى وضـــعٍ يكونُ واحدًا لجميعِها، ويشـــكّلُ المرحلةَ الأخيرةَ في المسارِ التطوّري لكلٍّ منها.

إنَّ المجتمعَ في فلسفة أنطون سعاده هو "المتّحد الإنسانيّ الأتمّ."

فمفهومَ المتّحد عند سعاده هو أضيقُ بكثيرٍ من مفهومِ المجموع. فإذا كانَ كلُّ متّحدٍ يشكّلُ مجموعًا من البشر، فإنَّ كلَّ مجموعٍ لا يشكّلُ متّحدًا، وإن كان وجودُ المجموعِ شرطًا ضروريًّا لتشكيل المتّحد. ولكن هذا الشّرط وإن كان ضروريًّا، لكنّهُ ليسَ كافيًا، لأنّ المجموعَ بما هو مجموعٌ هو مجرّدُ كتلةٍ لا شخصيّةَ لها.

إنَّ المجموعَ حتّى يصـــبحَ متّحدًا، يجبُ أن تتوفّرَ له مجموعةٌ من الشـــروط أهمّها: الثباتُ في بيئةٍ جغرافيّةٍ واحدةٍ، وأن يقومَ اجتماعهم على مبدأ الاتّحاد والاشـــتراك في أســـباب الحياة وعواملها المادّيّة والنفسيّة، الأمر الذي يشكّلُ الطّابعَ المميّزَ للمتّحداتِ الإنسانيّة، وفي نظريّة ســـعاده الاجتماعيّة، علينا أن نفهمَ العلاقةَ القائمةَ بين المتّحد وبين صفاتِه، فالصّفاتُ من عاداتٍ وتقاليدَ ومناقبَ ولهجاتٍ... ليست ثابتةً، فهي تتغيّرُ بتغيّرِ الحياةِ. أمّا المتّحد فهو ثابتٌ، لذلك يؤكّد ســعاده بأنَّ أفرادُهُ في العقولِ والأجســامِ تشــابهًا جوهريًّا."[4] ولكن هذا التشابهَ يجبُ ألّا يؤخَذَ على أنّه ذو دلالةٍ سلاليّة، بل نتيجةٌ لاشتراكِ هؤلاءِ الأفرادِ في حياةٍ واحدةٍ. فالاشـــتراكُ في الحياةِ لا يولّدُ فقط اشـــتراكًا في العقليّة والصّـــفاتِ، بل تشـــابهًا حتّى في الخصـــائصِ الفيزيائيّة للأفراد، لأنَّ البيئةَ التي تجري ضـــمنَها حياةُ المتّحدِ تؤثّرُ على "أشـــخاصٍ مختلفين تأثيرًا يؤدّي إلى اتّجاهٍ واحدٍ بناءً على أنَّ لكلِّ عضوٍ حدودَ سلامةٍ يتكيّفُ ضمنَها تبعًا لمقتضياتِ البيئةِ، فيتّخذُ الهيئةَ التي تتطلّبها عوامل البيئةِ دونَ أن يفقدَ خصائصَ وظيفتِه."[5]

علينا أن ننتبهَ، في نظريّةِ ســـعاده الاجتماعيّة، إلى التمييزِ بينَ المجتمعِ والمتّحد، لأنَّ المجتمعَ لا يتحوّلُ إلى متّحدٍ قوميٍّ بالمعنى الأصـــيل، حتى يبلغَ الوجدانُ الاجتماعيّ نضـــجَه الكافي. إنَّ وجودَ المجتمعِ ذو أســـبقيّةٍ تاريخيّةٍ على وجودِ المتّحدِ القوميّ، لأنَّ وجودَ هذا الأخيرِ ليس مرهونًا فقط بوجودِ مجتمعٍ واحدٍ قائمٍ بذاتِه، بل بظهورِ الوجدانِ الاجتماعيّ الذي يأتي في وقتٍ متأخّرٍ في التاريخ.

مصادر البحث ومراجعه:

1- الدكتور عادل ظاهر: المجتمع والإنسان- دراسة فلسفة أنطون سعاده الاجتماعية، منشورات مواقف، سلسلة أعلام النهضة الحديثة، الطبعة الأولى، 1980، ص14.

2- أنطون سعاده: نشوء الأمم- الكتاب الأول، الطبعة الثانية، دمشق، 1951، ص88.

* حائز على دكتوراه في النقد الأدبي وعلم اللغة الحديث من جامعة ليون (فرنسا) الثالثة. محاضر (متقاعد) في الجامعة اللبنانية. له ثلاثة عشر مؤلفاً منها: النقد الأدبي، القديم؛ النقد الأدبي الحديث؛ النقد الأدبي ومنطلقاته الفكرية في فلسفة أنطون سعاده؛ الخ...

[4] أنطون سعادة: نشوء الأمم، ص145.

[5] م.ن، ص44.

"قد تسقط أجسادنا أما نفوسنا فقد فرضت حقيقتها على هذا الوجود" (سعادة)

وفاة الأمين المفكر المناضل الدكتور حيدر حاج إسماعيل

نعى رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي الأمين ربيع بنات إلى عموم السوريين القوميين الاجتماعيين في الوطن وعبر الحدود وفاة الأمين المفكر المناضل الدكتور حيدر حاج إسماعيل (عبود عبود) الذي توفي في الوطن عن عمر 92 عاماً.

وبتاريخ 31 تموز شيَّع الأمين الراحل من مستشفى الرَّسول الأعظم بحضور عائلته ومسؤولين مركزين ومحلَّين وحشد من القوميِّين الاجتماعيِّين ووري الثرى في جبانة الرحمة أبي سمرا في مدينة طرابلس.

الأمين حيدر حاج إسماعيل آمن إيماناً راسخاً بعقيدة أنطون سعاده ونذر حياته لقضية الأمة والوطن فكانت مسيرته الحزبية حافلة بالنضال والعطاء والإنجازات. تحمَّلَ المسؤوليات الحزبية العالية وكان مثالاً في العمل القيادي والإداري. تميّز بعمق ثقافته العلمية والفلسفية وبإنتاجه الفكري الغزير. أغنى المكتبة القومية بالعديد من المؤلفات والترجمات والأعمال العقدية والأدبية والفنية القيّمة.

برحيله يخسر الحزب مناضلاً قيادياً ومفكراً متفوقاً وباحثاً متعمقاً في الفلسفة والآداب والعلوم وأستاذا جامعياً ومحاضراً متمكناً ومربياً متميزاً بإيمانه وسيرته ومناقبه.

فيما يلي نبذة عن الأمين الراحل:

ولد الأمين حيدر عيسى حاج إسماعيل عام 1932 في مدينة صفد في فلسطين ونشأ في كنف أُسرة سورية، الأبُ فيها من قرية الجويزة

في الجولان والأم من بلدة ميرون الواقعة على سفح جبل الجرمق المقابل لمدينة صفد الفل سطينية.

بعد افلاس جيش الإنقاذ وانسحابه من منطقة الجليل (شمال فلسطين) غادرت العائلة مع غيرها من العائلات، سيراً على الأقدام إلى مدينة بنت جبيل في لبنان وبعد ستة أشهر ذهبت العائلة إلى دمشق حيث تابع حيدر دراسته وحصل على شهادة البكالوريا السورية في امتحانات الدورة الأولى في عام 1950.

خلال السنة الأخيرة من دراسته الثانوية في دمشق، وبعد استماعه لأحاديث زملائه الطلاب عن اعدام سعاده، تعرّف حيدر على الحزب وحصل انتماؤه إليه في مديرية دمشق.

كان الرفيق حيدر متفوقاً في الرياضيات وفي اللغة الإنكليزية التي درسها في مدارس فلسطين. فطلب منه عميد الداخلية آنذلك الأمين الياس جرجي الذهاب إلى بلدة مرمريتا في وادي النصارى (النضارة حالياً) للتدريس في مدرسة ثانوية النهضة المشهورة. أمضى الرفيق حيدر خمس سنوات في مرمريتا يُدرّس الرياضيات والعلوم لتلاميذ صف البكالوريا الموحّدة والصف الذي دونه في هذه المدرسة القومية التي كان مديرها الرفيق ميشال أديب وكان الرفيق رجا اليازجي وعائلته من مؤسسيها.

ويذكر الأمين حيدر حاج إسماعيل، أن مدرسة النهضة تمكنت بفضل جهازها التعليمي وإدارتها ومساعدتها للطلاب أن تخرّج أجيالاً من الطالبات والطلاب الذين نجحوا في امتحانات البكالوريا وتسلموا مناصب ذات قيمة، بعد تخرجهم من جامعة دمشق، في الدولة وفي الحياة المدنية.

بالإضافة إلى التدريس في ثانوية النهضة في مرمريتا وفي مدرسة ثانوية حزّور في بلدة مشتى الحلو، كان الرفيق حيدر يمارس عمله الحزبي في تلك المنطقة وعيّن ناظراً للإذاعة في المنفذية التي زارتها آنذاك الأمينة الأولى جولييت المير سعاده.

بعد حادثة اغتيال عدنان المالكي، قُمع الحزب ومؤسساته في الجمهورية العربية السورية، وتم إغلاق ثانوية النهضة في مرمريتا بالشمع الأحمر. فاضطر الرفيق حيدر إلى المغادرة إلى الأردن وهناك مارس التدريس في العاصمة عمان وفي بلدة إربد.

نال الرفيق حيدر الإجازة في الفلسفة (1967) من جامعة دمشق، ثم أكمل الماجستير (1972) في الجامعة الأميركية – بيروت خلال تدريسه للفلسفة والفيزياء في بعض مدارس العاصمة اللبنانية.

تعرّف الرفيق حيدر على الرفيقة منى الأحدب ابنة البيت القومي الاجتماعي وبعد خطوبتهما شاركا معاً في دورات مخيم صنين عام 1967 التي كان الرفيق حيدر مكلفاً بإعطاء محاضرات فيها. وبعد زواجهما انتقلا إلى دمشق وهناك رزقا بإبنتهما الوحيدة رولا.

بتاريخ 13 تشرين الثاني من عام 1972، وكان آنذاك الرفيق عبود عضوا في المجلس الأعلى للحزب، أصدر مجلس العمد في الحزب مرسوماً يقضي بتعيينه معتمداً للحزب في استراليا التي أكمل في احدى جامعاتها في مدينة سيدني الدكتوراه في اختصاص الفلسفة المحبَّب إلى قلبه.

وعن إنجازاته الكبيرة في استراليا والتي كان من أهمها تأسيس ثلاث منفذيات وإنشاء مدارس وكلية حزبية ومنبر العقائد ومسرح قومي وفرق للدبكة والفولكلور ومجلة ثقافية وجريدة النهضة ومنشورات ثقافية وسلسلة كتيبات تعريفية بالحزب وغيرها من النشاطات المهمة.. عن هذه الإنجازات سنورد ما ذكره الدكتور ربيع الدبس في مقال له:

"هناك (في استراليا) لم تُتِح له مسؤوليته بوصفه معتمداً مركزياً ذا صلاحيات للحزب في القارة الأسترالية الشاملة نيوزيلندا أن يمارس أي عملٍ آخر. عكف الأمين «عبود عبود» على العمل الإذاعي– الثقافي– الإداري، واصلاً الليل بالنهار في مشروع أشبه ما يكون بعملية تأسيس جديدة للحزب في أستراليا التي كانت فروعها ضامرةً

ومهملة، فَزَخّمَ حركة الإدخال على القاعدة العَقَدية الأخلاقية التي لا تقبل التساهل أو المساومة. وأسّسَ ثلاث منفذيات في المدن الرئيسية الثلاث: سـدني وملبورن وأديلايد، حيث عاونه فريق قدير من الأعضاء الذين تَشَرّبوا نَفَساً جديداً في الوعي والصراع هو نَفَس النهضة النقيّ اللاهب. وفي المدينة الرئيسية الجميلة، سدني، أصدر المعتمد المركزي صحيفة «النهضة» التي كان لها دورٌ ثقافي جوهري على مستوى فروع الحزب في أستراليا، إضافة إلى تغطيتها أخبار الوطن القومية، والأخبار الإجتماعية للجالية، من دون الدخول في الصغائر السياسية ولا في طاحونة الأنباء التافهة التي كانت ترِد في جرائد لبنانية هناك، وتستهلك حيوية المهاجرين اللامنتمين وخزعبلاتهم.

كذلك أسس عبود عبود «منبر العقائد» الذي عُنِيَ فيه بمقارنة الفكر القومي الإجتماعي مع إيديولوجيات أخرى، ماركسية أو عروبية منفلشة أو لبنانية منغلقة أو دينية أو طائفية. ويدرك جميع الذين حضروا حلقات «المنبر» أن أحداً في القارة الأسترالية كلها لم يكن ليتمكن من مناظرة عبود عبود أو من معادلته في الفكر السياسي أو الفلسفي أو التاريخي. كما يدرك الذين واكبوا تلك المرحلة أن ممثلي الأحزاب في سدني مارسوا ضغوطاً هائلة على قياداتهم في بيروت حتى يتدخلوا لدى قيادة الحزب القومي من أجل إيقاف «منبر العقائد» وإسدال الستار على فضائح التعرية الفكرية التي كان يثيرها.

وبعد خمسة عشر عاماً من النضال الملحمي الذي جعل الحكومة الأسترالية تصنّف القائم به «خطراً على الأمن القومي» الأسترالي فلم تمنحه جنسيتها ولا جواز سفرها، استدعاه مركز الحزب بعد زيارة قام بها إلى هناك رئيس الحزب الأمين عصام المحايري وذلك لسببين: الأول هو الإنشقاق المؤسف الذي شهده الحزب عام 1987، والثاني هو اللغط الكبير الذي رافق إنشاء عبود لنادي أستراليا والشرق الأوسط، الذي لم ينجح كمشروع إقتصادي، بالإضافة إلى تَسَبُّب هذا المشروع بخسارة عدد من أعضاء الحزب لتبرعات وأملاك رهنوها من إجل إنجاح المشروع الذي ثَبُت، مع الأسف، فشلُه المُكْلف". (انتهى كلام الدكتور ربيع الدبس)

بعد 16 عاماً من الإغتراب، عاد الأمين عبود إلى الوطن عام 1988. وانتخب عضواً في المجلس الأعلى.

وعلى أثر إعادة انتخاب الأمين عصام المحايري رئيساً للحزب، عيّن الأمين عبود عميداً للثقافة والفنون الجميلة وعميداً للإذاعة والإعلام.

في 5 نيسان عام 1990، غادر الأمين عبود إلى الولايات المتحدة الأميركية وهناك نشط في مجال التثقيف والتوعية.

أثناء إقامته في ولاية نيوجيرسي، درّسَ الأمين عبود في جامعة رتجرز (Rutgers University) وبعد انتقاله إلى أوهايو عمل أستاذا للفلسفة في جامعة الولاية – جامعة أكرون (Akron) ودرّسَ ايضاً الفكر الماركسي الذي كان مختصاً فيه في جامعة جون كارولز (John Carolls) اليسوعية.

عام 2000 عاد إلى الوطن وهناك بدأ تدريس الفلسفة واللغة الإنكليزية والترجمة في بعض الجامعات.

تعاقد مع المنظمة العربية للترجمة للعمل معها كمترجم واستمر في هذه المهمة لمدة سبع سنوات ترجم خلالها مجموعة كبيرة من المؤلفات الفلسفية لباحثين ومفكرين غربيين.

قبرص حصن سوريا في البحر

بقلم الأمين سيمون حاجوج

لاشك بأن ما تواجهه الأمة السورية، بدءاً من اغتصاب فلسطين وأجزاء أخرى من الأرض السورية، وصولاً إلى ضرب العراق ثم محاولات تفتيت الشام ولبنان، والتي وصلت إلى مرحلة باتت تهدد مصير الأمة ومستقبلها في ظل الظروف المحيطة، محلياً وإقليمياً ودولياً، والتي أقل ما يقال فيها أنها تحمل في ثناياها المزيد من الأخطار، كل ذلك قد يجعل من طرح المسألة القبرصية، في نظر البعض، ضرباً من ضروب الرومانسية الفكرية، أو ربما استحضاراً لمسألة من عالم آخر وإقحامها في ساحة اهتمام هذا البعض، أو ومثاراً للدهشة والاستغراب بسبب جدة هذه المسألة أو عدم وضوحها بالنسبة إليه.

إلا أن تناول الحقوق القومية والبحث فيها وإظهارها وإعلانها لا يتوقف على الزمان والمكان، ولا يُرتهن لظروف أو شروط. وحسبنا في ذلك أننا نقتدي بأنطون سعاده عندما أطلق الحركة السورية القومية الاجتماعية في ثلاثينات القرن الماضي في ظل ظروف قاسية فرضها الاحتلال الفرنسي والبريطاني لسوريا، غير عابئ بالمعارضة التي واجهته، ولا بدهشة أو استغراب البعض، ولا بالحرب الشعواء التي شنت عليه وعلى حركته، بل كان إصراره الشديد وتصميمه على توضيح حقوق الأمة السورية وإقرارها وإعلانها على الملأ، والعمل من أجلها هو الهاجس الذي شغل تفكيره، والبوصلة التي وجهت عمله.

من هنا فإن طرح المسألة القبرصية في هذه الظروف ليس غريباً بقدر غرابة أن تغيب هذه المسألة الهامة، عن وعي واهتمام عدد لا بأس به من شعبنا، على الرغم من أن أحداثها تجري في جزيرة قريبة من البر السوري وتكاد تلتصق به، فضلاً عن أن هذه الأحداث وتطوراتها تتطابق مع مثيلاتها في مناطق سوريا الطبيعية الأخرى، وهذا يعني أن لتلك الأحداث والتطورات معادل قومي (سياسي واجتماعي وحضاري وتاريخي) يجمعها مع ما يجري من أحداث في الدول السورية الأخرى، وهي متداخلة مع هذا المعادل وداخلة في إطاره دخولاً لا انفصام فيه لا حالياً ولا في المستقبل.

ولنا في ذلك أدلة عملية وواقعية كثيرة تمتد عبر تاريخ أمتنا الطويل تدلل على دخول قبرص في ذلك المعادل القومي، ولكننا لن نتطرق هنا إلى هذه الأدلة فهي متضمنة بشروح مفصلة في كتابنا (قبرص حصن سوريا في البحر) الصادر عام 2014 وهو متوفر في المكتبة الإلكترونية لمؤسسة سعاده للثقافة، ولكننا سنكتفي باستعارة مثال من أيامنا الحاضرة لا يزال ينبض بالحياة وهو الموقف الذي أطلقه حزب

الله مؤخراً والذي يتضمن تهديداً واضحاً وصريحاً للحكومة القبرصية يحذرها فيه من مغبة سماحها لطائرات العدو الصهيوني باستخدام مطارات الجزيرة لضرب المقاومة وأنه في هذه الحالة سيعتبرها جزءاً من الحرب القائمة.

غير أن هذا لا يعني إطلاقاً أن العدو الصهيوني لم يكن يستخدم تلك المطارات فيما مضى لضرب القوى الحية في الأمة إبان حروبنا الماضية معه، إلا أن أحداً في حينه لم يحرك ساكناً في مواجهة هذا التواطؤ مع العدو الصهيوني. كما أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا أن بريطانيا لا تزال تحتفظ حتى الآن بقاعدتين عسكريتين كبيرتين في جزيرة قبرص هما قاعدة أكروتيري وقاعدة ديكيليا الواقعتان على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة مقابل السواحل السورية حيث توضع هاتان القاعدتان تحت تصرف العدو الصهيوني لدعم مجهوده الحربي لوجستياً ومخابراتياً في الوقت المناسب.

ولا شك بأن هذا الموقف المستجد للمقاومة يشكل تطوراً ملفتاً في وعي العامل الاستراتيجي الحربي الحساس للموقع الجغرافي لجزيرة قبرص المتمثل بالإطلالة الجغرافية المجاورة جداً، على معظم أراضي منطقة الشرق الأدنى حيث تتيح هذه الإطلالة إمكانية كبيرة لكشف سماء وبحر وبر معظم منطقة الشرق الأدنى وخاصة سوريا الطبيعية. فمن قمة جبل الأوليمب (وهو أعلى قمة في جبال ترودوس في قبرص، والذي يعلو عن سطح البحر قرابة 2000 متر) تتمكن محطات الرادار والمراصد البريطانية المثبتة عليها تغطية السماء السورية وما بعدها شرقاً حتى طهران، إضافة إلى سماء شمال أفريقية ووادي النيل.

وهذا ما تؤكده الوثائق التي نشرها موقع ويكيليكس الإليكتروني في الآونة الأخيرة من أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) تستمد أهمية المعلومات، التي تصلها من الحكومة البريطانية، من خلال قاعدتها العسكرية في قبرص.

إنها وحدة المصير التي تربط قبرص بسوريا الطبيعية والتي أكد عليها سعاده منذ مطلع ثلاثينيات القرن الماضي.

بعد كل ذلك فإن السؤال الملح الذي يطرح نفسه علينا، نحن أبناء النهضة التي أناط بنا الزعيم مسؤولية انتصارها، هو: لماذا غابت هذه المسألة عقوداً طويلة عن وعي عدد لا بأس به من السوريين منذ أن أظهرها أنطون سعاده في مطلع القرن الماضي حتى الآن؟ وللإجابة نقول إن لهذا الغياب أسباب عديدة يحتاج حصرها والوقوف عليها إلى بحث تاريخي مستفيض يتناول العوامل الذاتية والموضوعية، أي العوامل المتعلقة بنا كحزب، وتلك الخارجة عن إرادتنا، ولكن لن نخوض فيها الآن، بل سنكتفي باستعراض ثلاثة من هذه الأسباب فقط:

السبب الأول يعود إلى أن بعض السوريين لم تتسنَ لهم فيما مضى، ولأسباب مختلفة، فرصة الاطلاع على أفكار النهضة السورية القومية الاجتماعية التي أطلقها أنطون سعاده، وعلى مبادئ وعقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي أسسه في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، والذي كان له الفضل في كشف وإبراز حقيقة أن جزيرة قبرص تقع ضمن حدود البيئة الطبيعية السورية التي نشأت فيها الأمة السورية، وبالتالي هي جزء لا يتجزأ من الوطن السوري، وأن موقعها الجغرافي يلعب دوراً مؤثراً في الأمن الاستراتيجي والوحدة الجيوسياسية لسوريا الطبيعية.

السبب الثاني يتعلق بدور النخب السياسية والثقافية في دولنا السورية، أفراداً أو منظمات مجتمع مدني (أحزاب وجمعيات ونوادي وغيرها)، سواء في مرحلة النضال التحرري، أو في مرحلة ما بعد الاستقلالات، لجهة قصور أو تقصير هذه النخب في إبراز أهمية قبرص بالنسبة لسوريا الطبيعية، خصوصاً إذا علمنا أن مراحل النضال التحرري في الدول السورية قد تزامنت وترافقت في حينها مع تطورات المسألة القبرصية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وبالتالي فإن الفرصة كانت سانحة أمام تلك النخب كي تعمل على

دمج النضـال التحرري لشـعبنا في قبرص في إطار النضـال القومي السـوري العام في حركة تحرر واحدة قادرة على النظر إلى قبرص كموقع اسـتراتيجي يجب، في الحد الأدنى، الاحتفاظ به، إن لم تكن قادرة، أو راغبة، بالنظر إليها كقطعة من الوطن السـوري لا يجوز التنازل عنها.

أما السبب الثالث فيرجع إلى السياسات التعليمية والثقافية والإعلامية التي انتهجتها الحكومات الوطنية المتعاقبة في الدول السـورية في عهود الاسـتقلال، تجاه المسـألة القبرصـية وتطوراتها، حيث لم تكن توليها ما تستحقه من العناية والاهتمام الكافيين لغرسها وترسيخها في وعي السـوريين واهتمامهم. بل كانت، تلك الحكومات، في أغلب الأحيان تتعامل معها بشـيء من السـلبية واللامبالاة كأية مسـألة لا تعنيها في أية بقعة من العالم، فتكتفي في أفضـل الحالات بإعلان موقف سـياسـي ينطوي على شـيء من التعاطف لا أكثر. في وقت كان من الممكن لهذه الحكومات، إعارة المسـألة قدراً أكبر من الاهتمام كونها مسـألة سـاخنة تجري أحداثها في حيز جغرافي قريب جداً من البر السوري.

وإذا ما دققنا النظر في هذه الأسـباب وغيرها لوجدنا أنها تندرج في إطار الحرب الطويلة التي طالما شنّتها القوى الاستعمارية على أمتنا للحد من حركة ونمو الوعي القومي فيها وذلك اسـتباقاً واتقاءً للخطر الذي قد يشكله هذا الوعي على مصالح تلك القوى.

من هنا فإن العمل على استدراك ما فاتنا في المرحلة الماضية بشأن المسألة القبرصية بات حاجة ضرورية للإبقاء على حقنا في قبرص حياً في عقل ووجدان الأمة بأجيالها المتعاقبة، فلا تخبو شـعلة هذا الحق في النفوس، ولا نغرق في تداعيات الأحداث الجارية فننسـى حقوقنا القومية الأخرى، وهذا ما يتطلب تصـويباً لسـياسـاتنا العامة السـابقة نحو قبرص والارتقاء بها إلى المسـتوى الذي تحظى به مسـائلنا القومية الأخرى (فلسـطين، الاسـكندرون، كيليكيا، الأحواز، وغيرها).

ولا شـك بأن ذلك يتطلب درسـاً عميقاً لمجمل الأوضـاع والظروف المحيطـة محلياً وإقليمياً ودولياً، وفي هذا المجـال، فـإننـا نرى أن "مجلس التعاون المشـرقي" الذي أطلقه الحزب السـوري القومي الاجتماعي منذ أكثر من عشر سنوات، يشكل المدخل الأكثر ملاءمة لتصـويب تلك السـياسـات فيما لو تم تفعيله كمشـروع سـياسـي استراتيجي قومي، يعتمده الحزب كبوصلة لضبط سياساته بأبعادها الثلاث: القريبة المدى، والمتوسـطة المدى، والبعيدة المدى، حيث تأتي أهمية تفعيل هذا المشروع من:

أولاً، كونـه برنـامج قومي يسـهم في الحد من مظـاهر الاختلاف والتباين بين الدول السـورية، ورفع مسـتوى التنسـيق والتكامل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي بينها.

ثانياً، كونه مشـروع تعبوي يسـهم في دعم قدرة الدول السـورية على مواجهة التحديات المصيرية الناتجة عن الهجمة الاستعمارية الجديدة على أمتنا، والتي تهدف إلى تنفيذ سايكس بيكو جديدة تقوم هذه المرة على التفتيت المذهبي والديني والإثني خدمة للمشروع الصهيوني.

ثالثاً، كونه مشـروع اسـتراتيجي يتيح للأمة السـورية، بما هي كتلة جيوسياسية واحدة، تحتل موقعاً استراتيجياً ممتازاً، وإمكانيات طبيعية وبشرية، فرصـة لعب دور فعال، سواء في إطار النظام الإقليمي، أو في إطـار النظـام العالمي الجديد متعدد الأقطـاب، والـذي تـدل كل المؤشـرات على أنه بات في طور التشـكل والولادة في المسـتقبل القريب.

رابعاً، كونه الخيار الأكثر واقعية وعملية في الظروف الحالية الناشئة عن تداعي مشـروع العروبة الوهمية، وانتهاء دور الجامعة العربية التي تمثله، وبالتالي بروز الحاجة إلى إنشـاء جبهة عربية لها وزنها في المسـائل الأنترنسـيونية قوامها أربع أمم عربية، تتمثل فيها الأمة السورية، مرحلياً، بمجلس التعاون المشرقي، ومستقبلاً بأية مؤسسة قومية متقدمة قد تنبثق عن هذا المجلس.

وفي هذا الإطار فإن توجيه الدعوة لقبرص – أو على الأقل إلى القوى الحية الفاعلة فيها – للانضمام إلى مشروع مجلس التعاون المشرقي ومشاركتها في فعالياته وأنشطته، قد يكون الخطوة الأولى في عملية إعادة النظر في سياساتنا العامة نحو قبرص، ومثالاً يحتذى لحكومات الدول السورية كافة.

وفي المحصلة فإن المسألة القبرصية هي إحدى المسائل الداخلة في نطاق القضية السورية القومية الاجتماعية والمتفرعة عنها، وبالتالي فإن الخوض في بحثها يستوجب التركيز بشكل رئيسي على وجهتها الحقوقية، توضيحاً وتحديداً، انطلاقاً من مقولة أنطون سعاده «شرط الحقيقة الوضوح وشرط الوضوح التحديد والتعيين»، وذلك بقصد إثبات حقنا القومي فيها من جهة، والرد على باطل من ينكرون على الأمة السورية هذا الحق من جهة أخرى، كي ترتسم في النهاية ملامح الصورة واضحة جلية في أذهان السوريين ووجدانهم القومي.

وما من ريب في أن هذا البحث يستند من الوجهة الفكرية إلى عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي المعبرة عن حقيقة الأمة السورية بأجيالها السابقة واللاحقة، ما يقودنا تلقائياً إلى المبدأ الخامس من مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي المتضمن حدود الوطن السوري، الذي يشمل قبرص في نطاقه كجزء لا يتجزأ من البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية. حيث ينص هذا المبدأ على أن: «الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية. وهي ذات حدود جغرافية تميزها عما سواها، تمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة، ومن البحر السوري في الغرب، شاملة جزيرة قبرص، إلى قوس الصحراء العربية والخليج العربي في الشرق. وتوصف بالهلال السوري الخصيب ونجمته جزيرة قبرص».

وهذا يعني من الوجهة الحقوقية أن الوطن السوري هو ملك للأمة السورية التي هي وحدها صاحبة الحق في كل شبر من أرض الوطن السوري والتصرف به والبت بشأنه. ويعني أيضاً أنه لا يجوز لأي فرد أو مؤسسة أو أية هيئة، وطنية كانت أو أجنبية، حاضراً ومستقبلاً، التفريط بهذا الحق أو الانتقاص منه باقتطاع أي جزء أو شبر من هذا الوطن.

واستدراكاً فإن الوجهة الحقوقية تعني أن قبرص، شعباً وأرضاً، هي جزء متمم للبيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية، كما حددها المبدأ الخامس وأنها داخلة، منذ ما قبل الزمن التاريخي الجلي، ضمن دورة الحياة السورية (الاجتماعية الاقتصادية) التي لم ينقطع لها حبل على مر العصور، إلا في حالات نادرة بفعل عوامل خارجة عن نواميس الطبيعة كما في عصرنا الحاضر، وبالتالي فهي جزء لا يتجزأ من سوريا الطبيعية، حضارياً وإنتولوجياً وجغرافياً وتاريخياً وحتى جيولوجياً.

دمشق في 21 تموز 2024

___

* الأمين سيمون حاجوج باحث وكاتب مقيم في دمشق.

حرب مصيرية فُرِضت على أمتنا

الأمين الدكتور ادمون ملحم

نحن في حالةَ حربٍ مصيريةٍ فُرِضت على أمتنا منذ تأسست الحركةُ الصهيونيةُ العالميةُ بهدفِ إيجادِ وطنٍ قوميٍ لليهودِ في فلسطين مرتكزةً على فكرةِ "أرضِ الميعاد" الممتدةِ بين الفراتِ والنيلِ التي منحَها يهوه السمسارُ لشعبِه "المختار" من دونِ سائرِ الشعوبِ لتكونَ له ملكاً أبدياً كما جاء في قولِه لإبراهيم في سفر التكوين 7:17: "... أعطي لك ولنسلِك من بعدِك أرضَ غُربتِك، كلَ أرضِ كنعان، ملكاً ابدياً، وأكون إلهَهُم".

مشروعين متناقضين:

هذه الحرب المصيرية قائمة بين مشروعينِ متناقضينِ لا يمكنُ التسويةُ بينهُما: مشروعٌ عدوانيٌ إستعماريٌ سرطانيٌ متسلحٌ بأعنفِ الوسائلِ الماديةِ والعسكريةِ المدّمرةِ ويمثّلُ الباطلَ العنصريَ والنفسيةَ البربريةَ الهمجيةَ المتحجرةَ في مُعتقداتِها ومزاعمِها التاريخيةِ الخرافيةِ والمُفعمةِ بالحقدِ واللؤمِ والظلمِ والكراهيةِ والعداءِ للشعوبِ ومشروعٌ مجتمعيٌ إنسانيٌ راقٍ يرتكزُ على مبدأِ الإشتراكِ في الحياةِ والتفاعلِ الإجتماعيِ الطبيعيِ في البيئةِ الواحدةِ وعلى ملكيةِ الأمةِ التاريخيةِ لِوَطنِها وما فيه من ثرواتٍ وخيرات، مشروعٌ حضاريٌ يمثّلُ النفسيةَ الجميلةَ الخلاّقةَ والمفعمةَ بالفضائلِ والقيمِ الساميةِ، هذا المشروعُ الذي يبغي تحسينَ حياتِنا القوميةِ والمساهمة في رقيِ الإنسانيةِ جمعاءَ هو مشروعُ سوريةَ الطبيعيةَ الحضاريةَ العريقةَ في جذورِها التاريخيةِ والغنيةِ في معطياتِها الإنسانيةِ والثقافيةِ الماضية.

المشروعُ الأولُ هو المشروعُ الصهيونيُ الذي يريدُ أن يُقوّضَ مُجتمعَنا من خلالِ طمسِ هويتِنا القوميةِ وتراثِنا المناقبيِ الإنساني وتزويرِ تاريخِنا الحضاريِ وأساطيرِنا الجميلةِ وسرقةِ ثرواتِنا وكنوزِنا وآثارِنا الخالدةِ والحطِّ من قِيمِنا الأخلاقيةِ والدينيةِ الساميةِ وتشويهِ كلِ إنتاجِنا الحضاريِ ومسيرتِنا الثقافيةِ والسياسيةِ والإبداعية.

اعتقادات بدائية:

ان الرابطَ الوحيدَ الذي يجمعُ أصحابَ المشروعِ العدواني ويشدّهُم إلى بعضِهم بعضاً هو رابطُ الدينِ ولا رابطةَ لهم وطنيةً أو سلاليةً سواه. فالقولُ بوحدةِ العنصرِ اليهوديِ وبصفاءِ العُرقِ اليهوديِ هو أمرٌ خرافيٌ لاُ يقّرُه العلمُ ولاُ يثبتُه التاريخ. واليهودُ لا يشكلونَ أمةً واحدةً إلا إذا اعتبرْنا انَّ الأمةَ والقوميةَ تتأسسانِ على الدين، وهو أمرٌ مرفوضٌ في علمِ الإجتماعِ الحديث. فكما لا يُمكنُنا اعتبار المسيحيينَ أو المحمديينَ في العالمِ أمةً لا يُمكنُنا أيضاً ان نعتبرَ اليهودَ أمةً واحدةً ومجتمعاً واحداً.. ومعَ ذلك يعتبرُ اليهودُ أنفسَهم قوميةً قائمةً بنفسها

وأمةً مقدسةً اختارَها الإلهُ يهوه كما جاءَ في سفرِ الخروج: "وأنتم تكونونَ ليَ مملكةَ كهنةٍ وأمَّةً مقدسة".[1]

ويعتقدُ اليهودُ بأنهم شعبٌ مميزُ عن باقي الشعوبِ لا بل يعتبرونَ أنهم وحدَهم فقطْ مخلوقاتٌ بشريةٌ رفيعة، أما غيرُهم من الناس فهُم في مستوى الحيواناتِ وأن يهوه إلهَهُم منحَهم العبقريةَ واختارَهم حسب ما تقولُه التوراةُ، ليحكُموا الأرضَ ولِتكونَ باقي الشعوبِ في خدمتِهم.

وتعترِفُ التوراةُ أَن "أرضَ الميعادِ" هيَ أرضُ كنعان وهي موطنٌ للعموريينَ والكنعانيينَ والآراميينَ وغيرَهم من الشعوب. وفي هذا الخصوصِ يؤكّدُ الدارسونَ والمؤرخونَ ان الكنعانيينَ (الفينيقيين) استوطنوا هذه الأرضَ منذُ عامِ 2500 ق.م. وبنوْا فيها مُدُناً محصنةً وموانىءَ مزدهرةً وحضارةً راقيةً أدهشَتْ العالمَ القديمَ ومعَ ذلكَ فإن اليهودَ يعتبرونَها وطنَهم ويُسمونَها "أرضَ إسرائيل" التي تَفيضُ لبناً وعسلاً ويعتقدونَ أن دينَهم لا يتمُّ لهُم إلا إذا اجتمعوا في هذه الأرضِ التي يؤكدون بأنها ملكٌ عامٌ مطلقٌ لِكلِ يهودِ العالمِ لذلك فهُم يريدونَها مطهّرةً ومحررةً من كل "رجسِ حيّ" غيرِ يهودي". هذا يعني ان الشعبَ الذي يعيشُ على هذه الأرضِ منذُ آلافِ السنينَ هو، برأيِهم، مغتصبُ لهذهِ الأرضِ ويجبُ طردهُ منها وتحريرُها.

هذه الإعتقاداتُ الدينيةُ وغيرُها من الأفكارِ الوهميةِ التي نجدُها في سجلِّ توراتِهم وفي تعاليمِ تُلمودهِم وفي تراثِهم الروحيّ والثقافيّ شكَّلتْ الأساسَ الذي قامت عليه الحركةُ الصهيونيةُ العالمية. فهذه الحركةُ اليهوديةُ في شكلِها وأسلوبِها ومضمونِها وأشخاصِها والتي تشكّلُ الجهازَ التنفيذيَ الشرعيَ والرسميَ لليهوديةِ هي وليدةُ الأساطيرِ والأوهامِ والمعتقداتِ القبليةِ البائدةِ والمنافيةِ لأي عقلٍ أو منطقٍ إنسانيين وهي حركةٌ عنصريةٌ قائمةٌ في فكرةِ "شعبُ يهوه المختار" وفي فكرةِ خلاصِ هذا الشعبِ الخاصِ وإخضاعِ شعوبِ العالمِ كلِها لهُ وهي بسلوكِها وأعمالِها حركةٌ مجرمةٌ لا تَقِل إجراماً وعنصريةً عن النازيةِ والفاشيةِ لا بل إنها نازيةٌ جديدةٌ غايتُها تدميرُ الحضارةِ الإنسانيةِ وتجديدُ عنصريتِها ومعتقداتِها البدائية.

الفكرة الإسطورية:

إن فكرةَ "أرضُ الميعاد" الأسطوريةُ التي لا تستندُ على المنطقِ والحقيقةِ والتاريخِ والتي رسمَها هرتزل عام 1896 في كُتيّبِه "دولةُ اليهود" انطلَقت منها الحركةُ الصهيونيةُ وعملَت على تحقيقِها بمنطقِ الإغراءِ والتحايلِ والخيانةِ والإستغلالِ ووفقَ عمليةٍ غيرِ طبيعيةٍ قَضَتْ بتحريض يهودِ العالمِ المختلفي النزعاتِ والمشاربِ والمتباينِي الأخلاقِ والعاداتِ للهجرةِ إلى فلسطينَ والإستيطانِ فيها لتوجِدَ منهم تجمعاً أَثنياً عرقياً خالصاً يحلُّ محلَ السكان الأصليينَ في دولةِ عنصريةٍ تيوقراطيةٍ وظيفيةٍ تشكّلُ بإمكانياتِها التكنولوجيةِ قاعدةً عسكريةً وصناعيةً متفوقةً للإستعمارِ الغربيِ الذي توافَقَتْ مَصالِحُه مع مصالحِ المشروعِ الصهيونيِ وتُعْتَبَرُ، برأيِهم، واحةً للحضارةِ الغربيةِ ومركزاً ثقافياً وملاذاً ليهودِ العالمِ يحافظونَ فيها على تَفَرّدِهم ونقائِهم العنصريِ ويمارسونُ من خلالِها سيادتَهم ومشاركتَهم في صنعِ القرارِ والتاريخ...

ومنذُ إنطلاقتِها دَأَبتْ الصهيونيةُ على تذكيرِ اليهودِ بتفوقِهم الموهومِ ونقائِهم العرقيِ وعلى إيقاظِ عصبياتِهم العنصريةِ والدينيةِ وذلك بإستغلالِها لِمسألةِ تزايدِ العداءِ للساميةِ في أوروبا وبترويجِها الإعتقادِ بِعدمِ إمكانيةِ اندماجِهم في المجتمعاتِ التي وُلِدوا وتَرَعْرَعوا فيها لذلك يجبُ السعيُ لإقامةِ الدولةِ اليهوديةِ الخالصةِ في فلسطينَ والعيشُ في ظِلالِها.

وأدرك قادةُ الصهيونيةِ أَنه لا مجالَ لتحقيقِ أهدافِهم بوجودِ شعبِنا الفلسطينيِ على أرضِه فلجأَوا إلى الأكاذيبِ والتزويرِ والتزييفِ والتحريفِ وروّجوا شعاراً مثيراً ومخالفاً للحقائقِ والتاريخِ كان قد أطلقَهُ عامَ 1839 عضوُ البرلمانِ البريطانيِ اللورد شافتسبري (1801 . 1885) ومفادُه: "شعبٌ بلا وطنٍ لوطنٍ بلا شعب". إعتمدت

[1] خروج: 6:7.

الصهيونيةُ هذا الشعارَ الذي نَفَثْ فيهِ وبشكلٍ معنويٍ الوجودَ الكاملَ لِشعبِنا في فلسطينَ مرتكزةً على المقولةِ الدينيةِ التوراتيةِ الزائفةِ بأنَّ لهم "حقاً إلهياً" في فلسطينَ وعلى إدعاءِهم الباطلِ بملكيتِهم التاريخيةِ لها مع العلمِ ان وجودَهم فيها كان وجوداً عابراً ولم يدُمْ زمناً طويلاً إذ ان حكمهم الباطل الذي انتشرت فيه جميع أنواع الشرور والمظالم إنقسم على نفسه ليلاقي بعد حين اندثاره إلى غير رجعة.

إستشراف الخطر الصهيوني:

ومنذ مطلعِ القرنِ الماضي بدأت فكرةُ الدولةِ اليهوديةِ الوظيفيةِ تتبلورُ وترتسمُ على الأرضِ وتُشكِّلُ مشروعاً خطيراً على حياتِنا ليس لأنه مشروعٌ عنصريٌ يرمي إلى تجميعِ حشدٍ من اليهودِ فقط بل، أولاً، لأنه مشروعٌ إستعماريٌ توسعيٌ يطمعُ في مياهِنا وثرواتِنا الطبيعيةِ وفي السيطرةِ على مدى جغرافيٍ حيويٍ واسعٍ يستوعبُ الفائضَ البشريَ اليهوديَ الذي أرادتْ أوروبا ان تتخلصَ منه والذي يفوقُ عدَدُه اليومَ الخمسةَ عشرَ مليوناً منتشرينَ في أنحاءِ العالم.. لذلك قال سعاده: "إن خطرَ اليهودِ لا ينحصرُ فقط في فلسطينَ بل هو يتناولُ لبنانَ والشامَ، إنه خطرٌ على الشعبِ السوريِ كلِه لأن اليهودَ لن يكتفوا بالإستيلاءِ على فلسطينَ ففلسطينُ لا تكفي لإسكانِ ملايينِ اليهود". وثانياً، لأنه مشروعٌ إلغائيٌ يريدُ إجتثاثَ وجودِنا وتفريغَ أرضِنا ومُصادرتِها عبرَ قوانينَ عنصريةٍ جائرةٍ وتهويدَها بتغييرِ معالمِها الحضاريةِ وتحويلَ ملكيتِها إلى ملكيةٍ يهوديةٍ تُسَجَّلُ باسمِ الشعبِ اليهوديِ إلى الأبدِ وتبني عليها المستوطنات..

نجاح الصهيونية:

سعاده استشرفَ باكراً الخطرَ الصهيونيَ ونبّهَ إليهِ وأدركَ ما سَينتُجُ عنهُ من عواقبَ وخيمةٍ، وبدأ حرباً فكريةً ضدَّهُ مقترحاً على الأمة حلولاً بدعوتِه للوحدةِ الإجتماعيةِ والتماسكِ الداخليِ لمجابهةِ هذا الخطرِ الزاحفِ إليها. وسعاده، حقاً نقولُ، كان مصيباً في إستشرافِه لخطرِ الحركةِ الصهيونيةِ وفي تحليلِهِ لِطبيعتِها ولِقواعدِ عَمَلِها المرتكزةِ على خطةٍ نظاميةٍ دقيقةٍ. فهذهِ الحركةُ التي مَثَّلتْ دورَ الحكومةِ العالميةِ ليهودِ العالمِ أينما وُجِدوا، حقَّقَتْ نجاحاً كبيراً لأهدافِها وتمكنت بحلولِ عام 1948 من تحويلِ مشروعِها إلى ثوابتَ على الأرض وذلك بفضلِ المساعي السياسيةِ التي بذلتْها للإستحصالِ على دعمِ وتأييدِ الدولِ الإستعماريةِ الكبرى وحمايتِها العسكريةِ ولإعطاءِ مُخططاتِها السندَ القانونيَ الدوليَ (من خلالِ الوعودِ البلفوريةِ[2] وأهمُها وعدُ بلفورَ المشؤوم) وبفضلِ المؤسساتِ الإقتصاديةِ والإجتماعيةِ والماليةِ التي أوجدتْها لِتمويلِ موجاتِ الهجرةِ المنظمةِ باتجاهِ فلسطينَ وعملياتِ شراءِ الأراضي[3].. وبفضلِ المنظماتِ الإرهابيةِ وشِبهِ العسكريةِ التي أَنشئَتْها[4] لحمايةِ الإستيطانِ ولترويعِ الفلسطينيينَ بعملياتٍ إرهابيةٍ بهدفِ طَردِهم من ديارِهم.. وبفضلِ المؤامراتِ والدسائسِ التي أحاكتْها والأدوارِ السياسيةِ المختلفةِ التي وزعتْها والإمكانياتِ الفكريةِ والماليةِ والإعلاميةِ التي سخّرتْها والمجازرِ الإرهابيةِ التي ارتكبتْها وهيَ لا تُحصى والعملياتِ الإجراميةِ من إغتيالاتٍ ونسفٍ وخطفٍ وتَجسسٍ وإرتكاباتٍ مُشينةٍ التي نفَّذتْها والأساليبِ اللاأخلاقيةِ المتنوعةِ في المَكرِ والخِداعِ والدعايةِ التي مارستْها والأضاليلِ الدينيةِ التي روَّجتْها وحَشَتْ عقولَ الغربيينَ بها فَتَرَسَّخَ في أذهانِهم ان رجوعَ اليهودِ لإقامةِ دولتِهم فوقَ أرضِ فلسطينَ هو أمرٌ مُسَلَّمٌ بهِ ويُمثِّلُ حقيقةً دينيةً يجبُ ان يؤمنَ بها كلُ مسيحي.. بفضلِ كلِ هذه الممارساتِ والأساليبِ والخططِ الشِريرةِ

[2] هو مصطلح يقصد به الإشارة إلى مجموعة من التصريحات التي أصدرها رجال السياسة في الغرب ويعِدون فيها بدعم إقامة الوطن القومي لليهود وتأمينه مقابل ان يقوم اليهود على خدمة مصالح الدولة الراعية. ومن الوعود البلفورية نذكر وعد نابليون والوعد الروسي االقيصري والوعد الإلماني. ويعتبر تصريح بلفور (وزير الخارجية البريطاني) الذي وجهه إلى اللورد روتشيلد البريطاني اليهودي الصهيوني أهم حدث في تاريخ الصهيونية.

[3] كالوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي.

[4] كمنظمة هاشومير (الحراس اليهود) والهاغاناه وكالارغون التي اشتهرت بأعمالها الإرهابية الفظيعة والناحال والجدناع وغيرها من المنظمات التي درّبت الشباب على الحياة العسكرية وقامت بتنفيذ عمليات النسف والتخريب لترويع الفلسطينيين وطردهم من ديارهم.

حققتْ الحركةُ الصهيونيةُ نجاحاً كبيراً وأمسى حُلْمُها المنشودُ حقيقةً متجسّدةً في دولةٍ عنصريةٍ إستيطانيةٍ متغطرسة.

واقع الأمة السورية:

ولكن ما ساعدَ الصهيونيةَ وسهَّلَ تحقيقَ أهدافِها هو واقعُ أمتِنا الرديءُ وتَخَبُطُها في أمراضِ الجهلِ والفوضى والضعفِ والتفسخِ الروحي والتجزّئةِ الكيانيةِ المشؤومةِ والإنقساماتِ الإجتماعيةِ يضافُ إليها تخاذلُ الفئاتِ الحاكمةِ الرجعيةِ وتآمرُها وانصرافُها عن قضايا الشعبِ وأوجاعِه لتحقيقِ مصالحِها العائليةِ والخصوصيةِ في الحكمِ ومنافعه.. هذه الفئاتُ المتسلّطةُ أَلْهَتْ الشعبَ في قضايا غيبيةٍ عقيمةٍ رجعيةٍ ودينيةٍ ومذهبيةٍ وفي مزايداتٍ إعلاميةٍ ووعودٍ كاذبةٍ وشعاراتٍ إنفلاشيةٍ مستحيلةٍ بَدَلَ الإهتمامِ بحاجاتِه ومصالِحِه وبدلَ الإنصبابِ على بناءِ الدولةِ العصريةِ الديمقراطيةِ القادرةِ على مواجهةِ الطامعينَ الغزاة. إن الدولةَ الغاصبةَ لم تنشأْ بفضلِ مهارتِهم ولا بشيءٍ من عقلِهم وقوتِهم الخلاّقةِ بل هي نشأَت، كما يحلّلُ سعاده، "بفضلِ التفسخِ الروحي الذي اجتاحَ الأمةَ السوريةَ ومزّقَ قواها وبعثرَ حماسَها وضربَها بعضَها ببعض وأوجدَها في حالةِ عجزٍ تجاهَ الأخطارِ والمطامعِ الأجنبية".

ان تفكُكَ أمتِنا وعَجْزَها كان نتيجةَ التآمرِ الغربي الإستعماري الذي قَطَّعَ أوصالَها في جريمةِ سايكس بيكو وهي في حالةِ ذهولٍ وتضعضعٍ وضياعٍ بعدَ قرونٍ طويلةٍ من صراعِها الحضاري ضدَ بربريةِ السلاجقةِ والصليبيينَ والمماليكِ والمغولِ والعثمانيينَ ونتيجةَ تسلطِ الحكّامِ الرجعيينَ الإقطاعيينَ والوصوليينَ المنفصلينَ عن الشعبِ وهمومِه والمساهمينَ في استمرارِ الأوضاعِ الفاسدةِ وفي تكريسِ أمراضِ المجتمعِ وعاهاتِه.. وكنتيجةٍ لحالةِ العجزِ والتجزئةِ والضياعِ غابت قضيةُ الأمةِ وحَقيقتُها عن وجدانِ الشعبِ وإدراكِه وغَرق هذا الشعبِ في تخلفِهِ وإنقساماتِه الإجتماعيةِ تتقاذفُه الأحقادُ المذهبيةُ وقضايا النفسيةِ الرجعيةِ الإتكاليةِ وأعمالِها الإعتباطيةِ التي تعملُ بكلِ قواها على جمعِ قوى الطائفيةِ وتكتيلِها... كلُ هذه العواملِ أنزلت بنا كوارثَ جسيمةً ومَكَّنتْ الصهيونيةَ من وطنِنا وأمتِنا.

دولة دينية عنصرية:

ومنذُ إعلانِها حتى اليوم ما زالتْ دولةُ العدوِ الغاصبةِ تمارسُ التمييزَ العنصريَ وتسعى دائماً للتوسعِ الإقليمي ولا تريدُ أن تُعّينَ حدوداً واضحةً لها أو أن تضعَ دستوراً يُلزِمُها بتعريفِ واحدٍ لهويةِ كل المواطنينَ الخاضعينَ لِحُكْمِها وبإحترامِ حقوقِهم الطبيعيةِ ومساواتِهم أمامَ القانون. فهي دولةٌ دينيةٌ عنصريةٌ في طبيعتِها وسياساتِها وقوانينِها التعسفية، وهي لا تقيمُ وزناً للقوانين الدولية ولشُرعةِ حقوقِ الإنسانِ ولا تحترمُ قدسيةَ الحياةِ الإنسانيةِ وقيمةَ الإنسانِ غيرِ اليهودي. هذه الدولةُ المتغطرسةُ لم تتخلى يوماً عن سياسةِ البطشِ والإرهابِ والقتلِ والتدميرِ وهدمِ المنازلِ والإعتداءِ على المقدساتِ ومصادرةِ الأراضي وبناءِ المستوطنات. وهي اليوم تقتل الأطفال والشيوخ والنساء وتمارس الإبادة الجماعية وتتوعدُ وتتحينُ الفرصَ والظروفَ لِتشنَ حرباً علينا ولِتُسيطِرَ على المزيدِ من الأراضي.

فلهذه الدولةِ استراتيجيةٌ أساسيةٌ تعتمدُها دائماً وهي الإحتلالُ والسيطرةُ والتوسعُ ولكن عندما لا تسمحُ لها الظروفُ الدوليةُ والإقليميةُ بإعتمادِ هذه الإستراتيجيةِ فإنها تلجأُ بِحُكْمِ الضرورةِ إلى اعتمادِ سياساتٍ مرحليةٍ تحملُ عناوينَ "السلامِ" وتحاولُ بواسطتِها ان تحققَ ما عَجِزَت عن تحقيقِه عبرَ حروبِها المتتالية.

مشروع حرب:

إنَ المشروعَ الصهيونيَ لم يكنْ يوماً ولن يكونَ في المستقبلِ مشروعَ سلام. فهو كانَ وسيبقى مشروعَ عدوانٍ وتوسعٍ واستيطان. هذا المشروعُ الذي يتنكرُ بأزياءِ الحقِ ويدّعي السلامَ هو مشروعٌ مدّمرٌ لحياتِنا ومستقبلِنا ويسعى في كل الأوقاتِ وبكل الوسائلِ لترسيخِ دولتِه وتدعيمِ قُدُراتِها ومخططاتِها الإستيطانية.. إنه مشروعُ حربٍ يستهدفُ إجتثاثَ

وجودِنا بافتعال الفتن في حياتنا وبشنّ الحروبِ التدميريةِ علينا بغيةَ تهجيرِنا من خلالِ تخريبِ مرافقِ حياتِنا الحيويةِ وتدميرِ مؤسساتِنا الإقتصاديةِ والصناعيةِ والإنمائيةِ في مجتمعِنا ليتفككَ هذا المجتمعُ وينهارَ ولِتنعدِمَ أسبابُ العيشِ فيهِ فَيَصِلُ إنسانُنا إلى حالةِ اليأسِ والقنوطِ والهزيمةِ النفسيةِ ويضطرُ لأن يتركَ بلادَه ويهاجرَ لغيرِ رجعة. إنه مشروعٌ يطاردُ أجيالَنا الحاضرةَ في حياتِها على أرضِ الوطنِ وحيثُما وُجِدَتْ في العالمِ ويطاردُ في الوقتِ ذاتِه آلافَ السنينَ من وجودِنا الحضاريِ الإبداعيِ في قلبِ التاريخِ الإنساني.

هذا المشروعُ الشريرُ يطاردُ سورية أمةَ العقلِ والخلقِ والإبداعِ التي أنجبت العبقرياتِ الإنسانيةَ الخلاّقةَ من قوادٍ وحكماءٍ ومفكرينَ وفلاسفةٍ نوابغَ ومبدعين.. أمةً ثقافيةً رائدةً سبقت باقي الأممِ في ابتداعِ العلومِ والفنونِ وفي تأسيسِ المدنِ التاريخيةِ المزدهرةِ والمشّعةِ على من حولَها... أمةً معلّمةً هاديةً وزّعت من حضارتِها وأبجديتِها ومعارفِها منذ فجرِ التاريخ وأعطتِ العالمَ العطاءاتِ السخيةَ بدونِ حساب... أعطتْه الشرائعَ التمدنيةَ والفلسفاتِ الإنسانيةَ والأرقامَ الحسابيةَ وغيرَها من الإختراعاتِ والمنجزاتِ الحضاريةِ التي وزعتْها على الأممِ لتكونَ مناراتٍ لها على دروبِ الخيرِ والفضيلةِ والتقدمِ والعدالةِ والسلام. من رِحْمِ هذهِ الأمةِ الخيّرةِ وُلِدَتْ المسيحيةُ لتَسِفَ صنميتَهم ووثنيتَهم الخرافيةَ وتحجّرَهم القتّالَ ولِتُفجّرَ بقيمِها الروحيةِ الجديدةِ ينابيعَ المحبةِ والرحمةِ والتسامحِ ومن أرجاءِها انطلقتْ المحمديةُ لِتُكمّلَ رسالةَ الإسلامِ ولِتُحَطِّمَ ما تَبَقَّى من أصنامٍ وأوثان.

يجب ان لا نستهينَ بعدونا الغاصبِ وبمخططاتِه. بل علينا ان نستعدَ له فصراعُنا معه صراعٌ وجوديٌ طويلُ الأمدِ ولا ينحصرُ بالجبهةِ العسكريةِ فقط بل هو يطالُ وجودَنا الحضاريَ الإنسانيَ الخيّرَ ويطالُ حياتَنا في كلِ الساحاتِ والمجالاتِ في الوطنِ وفي المغتربات.

كيفية المواجهة:

ولكن السؤال المطروح كيف نواجه هذا العدو ومشروعه الخطير الذي يهدد حياتنا ويمنعنا من العيش بهناء؟ ما هي خطة المواجهة؟ جوابنا نجده في الخطة القومية وفي المشروع القومي الطبيعي.

إن المشروعَ القوميَ الطبيعيَ الذي تنهضُ به قوةٌ خلاّقةٌ مؤمنةٌ بحياةٍ جميلةٍ تشّعُ فيها قيمُ الخيرِ والحقِ والجمالِ والحريةِ والسلام، هذا المشروعُ لكي ينهضَ وينتصرَ يستوجبُ منا جميعاً الخروجَ من حالةِ الفتنِ المذهبيةِ والتضاربِ والشرذمةِ والإنقساماتِ إلى حالةِ الوحدةِ الإجتماعيةِ والتسامحِ القومي، حالةِ الوضوحِ واليقينِ والثقةِ بالنفسِ والعملِ بإرادةٍ واعيةٍ وخطةٍ نظاميةٍ واضحةِ الأهداف.

لا يمكنُ لنا ان نتغلبَ على الخطةِ الصهيونيةِ النظاميةِ الدقيقةِ ونحن نتبادلُ الأحقادَ الدينيةَ ونتقاتلُ على الجنةِ السماويةِ ونتخبطُ بقضايا الفئويةِ والمذهبيةِ والعشائريةِ والخصوصياتِ.. بل نتغلبُ عليها بعقيدةٍ جلّيةٍ واضحةٍ تُحيي حقيقتَنا التاريخيةَ الحضاريةَ وتعملُ لتأسيسِ مجتمعٍ مدنيٍ ديمقراطيٍ راقٍ يعي هويتَه وتاريخَه وقضيتَه القوميةَ ومقاصدَه الكبرى في الحياة. لا يمكنُ لنا أن نتغلبَ على الخطةِ الصهيونيةِ بأنظمةِ الطائفيةِ والجهلِ والتخلفِ والفسادِ، أنظمةِ القمعِ والإستبدادِ والديمقراطيةِ المزيّفةِ وكبتِ الحرياتِ.. ولا نتغلَّبُ عليها بالسياساتِ الضيقةِ، بسياسةِ المماحكاتِ والخصوماتِ وبنهجِ التخاذلِ والتسكعِ والمساومات والمفاوضات المباشرة او غير المباشرة او بتلقي رسائل التطمين من المجتمع الدولي.. بل نتغلبُ عليها بخطةٍ نظاميةٍ أشدُ نظاماً وأدهى، خطةٍ عقلانيةٍ واضحةٍ في الرؤيا والأهدافِ ودقيقةٍ في التخطيطِ والممارسةِ والإنجاز.. خطةٍ تعملُ لبناءِ الإنسانِ الجديدِ في فكرِه وقلبِه ووجدانِه، الإنسانِ الحرِ المؤمنِ بنفسهِ وإنسانيتِه، الممتلىءِ بقيمِ الحياةِ الساميةِ والمتسلحِ بقوةِ العلمِ والمعرفةِ والوجدانِ القومي، الإنسانِ–المجتمعِ الذي يعملُ لخيرِ مجتمعِه ورقيِه والذي يرفُضُ العيشَ الذليلَ ويحيا لقضايا الحياةِ العالية، حياةِ العزِ والشرفِ والإنتصار.

ولا نتغلبُ على الخطةِ الصهيونيةِ بثقافةِ الهزيمةِ ولغةِ الإحباطِ، بنفسيةِ الخوفِ والصمتِ والخنوعِ وبأساليبِ الفوضى والتبعيةِ والإتكاليةِ

والإرتجالِ بل نتغلبُ عليها بخطةٍ ساهرةٍ وراصدةٍ ومُحرّكةٍ لإمكانياتِ المجتمع... خطةٍ هجوميةٍ ومصارعةٍ لعواملِ الضعفِ والإنحطاطِ والفناء.. خطةٍ تُفكرُ برويةٍ وتستشرفُ المخاطرَ والتحديات.. تراهنُ على إرادةِ الحياةِ فينا وعلى ما يكمُنُ في نفوسِنا من قوةٍ مناقبيةٍ ومن خلقٍ وإبداع.. توقظُ النيامَ وتخاطبُ العقلَ والوجدان.. تنفخُ في الشعبِ روحَ البطولةِ والصراعِ والمقاومةِ وتُنَمّي فيه روحَ الوعي والمعرفةِ العلميةِ والثقافةِ القوميةِ الصحيحةِ التي تزيلُ الغشاواتِ وتَقْضِي على المبادىءِ الفاسدةِ والثقافاتِ الرجعيةِ المسؤولةِ عن الكوارثِ القوميةِ التي حلَّتْ بنا.

خيار المقاومة:

في مواجهةِ المشروعِ الصهيوني القائم على العدوان والاستيطان لا خيارَ لنا إلا خيارَ المقاومةِ والصمودِ، خيارَ الصراعِ والبطولةِ المؤمنةِ دفاعاً عن الكرامةِ القوميةِ والوجودِ القومي والحقِ القومي. بفضلِ هذا الخيارِ الذي تمسكتْ به شام الصمود والممانعة، الحاضنةُ والداعمةُ للمقاومةِ والتي تعرّضت لحربٍ كونية بسبب مواقفها الثابتة في صيانة الحقوق القومية، والذي دعمته إيران وساندته اليمن وكل القوى الممانعة.. بفضلِ هذا الخيارِ أنهتْ المقاومةُ البطلةُ زمنَ الهزائمِ المتعاقبةِ على أمتِنا وبدأتْ زمناً جديداً هو زمنُ الكرامة والإنتصاراتِ المشهودة، زمنُ المقاومينَ المؤمنينَ والشهداءِ الأبرارِ الذين هزموا المشروعَ الصهيونيَ– الأميركيَ في المنطقةِ ودحروا جيشَ الاحتلال من لبنان (عام 2000) مهزوماً وحققوا الإنتصار الكبير عام 2006 مسقطينَ كل أحلامِ الصهاينةِ ومشاريعِهم.

الحرب مستمرة بأشكال مختلفة مع هذا العدو المجرم الذي يعتدي علينا ويدمّر بيوتنا ومرافقنا ويغتال المقاومين والقادة والمفكرين ويرتكب المجازر البشعة والإبادة الجماعية بحق شعبنا بدعم كبير من الولايات المتحدة الأميركية ودول الغرب والأنظمة العربية المتخاذلة والمتصهينة. هذه الحرب المصيرية تستوجب من كل الأحرار والمناضلين الشرفاء ومن كل قوى الممانعة والمقاومة، التمسك بخيار المقاومة ومواصلة التصدي للمشروع الصهيوني العدواني الشرير إلى أن يهزم هزيمة كاملة وتتحقق مشيئة القضاء والقدر.

صوت سعاده

رغماً من كل ما تقدّم، ومن أنّ الحركة الصـــهيونية غير دائرة على محور طبيعي تقدمت هذه الحركة تقدماً لا يستهان به. فإجراءاتها سائرة على خطة نظامية دقيقة إذا لم تقم في وجهها خطة نظامية أخرى معاكسة لها كان نصـيبها النجاح. ولا يكون ذلك غريباً بقدر ما يكون تخاذل السـوريين كذلك إذا تركوا الصـهيونيين ينفذون مآربهم ويملكون فلسطين.

حتى الآن لم تقم حركة سورية منظمة تنظر في شؤون سورية الوطنية ومصير الأمة السورية. لذلك نرى أننا نواجه الآن أعظم الحالات خطراً على وطننا ومجموعنا. فنحن أمام الطامعين والمعتدين في موقف تترتب عليه إحدى نتيجتين أساسيتين هما الحياة والموت، وأية نتيجة حصلت كنا نحن المسؤولين عن تبعتها.

منهجية تفكير سعادة
مدرسة التفكير القومي الاجتماعي

بقلم الأمين الدكتور يوسف كفروني

فهم منهجية التفكير التي اعتمدها سعادة في كتاباته في مختلف الميادين، يساعدنا على فهم مضمون هذه الكتابات، فهما عميقا وصحيحا، كما يرشدنا إلى الاقتداء بنهجه الفكري، ولا نكتفي بترداد عباراته شعارات مجتزأة من سياقها.

امتاز سعادة بتفكيره العلمي والعملي، بالتفكير العميق المنطلق من تساؤلات فلسفية عميقة والإجابة عليها بدرس طويل ومنظم، يتناول كل ما يحيط بمشكلة البحث من مختلف الجوانب. وركّز في تفكيره على التعيين والوضوح وتحديد المصطلحات المستخدمة تحديدا دقيقا، وتكوين رأي خاص بعد الاطلاع على نتاج المفكرين الذين سبقوه. وتناول في تفكيره المواضيع التي يمكن البرهان عليها بطريقة علمية بالأدلة الملموسة والحجج المنطقية. وتجنّب المواضيع التي لا تخضع للبراهين العلمية. وأكّد على التفكير الحر واعتبار الفكر جوهر الحياة الإنسانية، مقتفيا نهج زينون الرواقي ومضيفا إليه الأطر العملية، هادفا إلى تحسين الوجود والارتقاء به، من أجل الحياة في حسنها وخيرها وجمالها. والنقطة الأبرز في تفكيره هي الربط بين الظواهر وإيجاد العلاقة المنطقية بين الأسباب والنتائج.

يؤكّد سعادة في كل كتاباته على أهمية الفكر وعلى إعمال الفكر استنادا إلى المعرفة العلمية بهدف خدمة قضية الأمة والحضارة الإنسانية.

ينتقد سعادة كل أنواع التفكير التي لا ترتكز إلى الحقائق العلمية والمعرفة اليقينية وتنطلق من افتراضات لا يمكن التثبت منها بالبرهان والمنطق. وينتقد التفكير السطحي والعاطفي والسخيف والمنحط والقاتل.

سنتناول في هذه الدراسة، مقدمة عن التفكير ومنطلقات تفكير سعادة من خلال كتاباته موزعة على خمسة عناوين: 1-حرية التفكير، 2-البعد الإنساني للتفكير،3- التفكير العلمي، 4-التفكير العملي، 5-التفكير القومي الاجتماعي.

المقدمة: ما هو التفكير؟

إنه مقدرة يمتلكها الانسان وتميّزه عن الحيوان، وقد تطورت هذه المقدرة بفعل الاجتماع الإنساني والتطور الذي شهده منذ اكتشاف النار وتدجين الحيوان إلى الثورة الزراعية والثورة الصناعية وما بعدها وصولا إلى عصر المعلومات والتكنولوجيا الحيوية.

نلحظ ظهور الفكر مع الإنسان العاقل من خلال استخدامه للأدوات ومن خلال الرسوم التي تركها في المغاور ومن خلال الأساطير والآداب التي سجلها.

ونلحظ تطور هذا الفكر من خلال القوانين والتشريعات والنظم التي أقامها والاكتشافات والاختراعات التي ابتدعها والمدنيات التي أقامها.

رافق التفكير منذ ظهور الفكر مع الإنسان العاقل الكثير من الأوهام والخرافات.

كانت دائرة الأوهام كبيرة جدا ودائرة الحقيقة نقطة صغيرة.

كلما كبرت دائرة الحقيقة سقطت بالمقابل أوهام كانت سائدة. ولكن الأوهام لا تزال سائدة في معظم المجتمعات وإن بنسب متفاوتة.

لا تزال الأوهام كبيرة رغم كل التقدم الحاصل. وإذا كانت الأوهام مدمّرة وقاتلة، فالتفكير العلمي لن يفيد إذا لم يقترن بالمسؤولية الأخلاقية وبالعمل على تحسين الحياة.

التفكير هو نشاط عقلي، هو مقدرة عقلية لفهم موضوع ما أو حل مشكل ما.

ثمة تمايز وتباين في استخدام هذه المقدرة، وثمة أنواع من التفكير: من التفكير السطحي والخرافي إلى التفكير القاتل. ومن التفكير المرتبط بالأنانية الفردية إلى التفكير المرتبط بالعصبيات المغلقة: عصبيات الدم (العائلية والعشائرية والقبلية والأتنية) وعصبيات العقائد العنصرية (الدينية والطائفية والمذهبية) والقوميات الشوفينية والهيمنة الاستعمارية والامبريالية المتوحشة وكل أشكال التمييز العنصري بين البشر.

هناك كثير من المعوقات والمعطلات للتفكير المنطقي والعقلاني والتفكير الباني والضامن للاستقرار وتحسن الحياة.

ولا نزال نشهد انتشار التفكير السطحي والخرافي والتفكير العنصري القاتل.

ولا نزال نشهد على تفكير يختلط فيه المنطق والعلم مع التعصب والجهل.

تطور التفكير

يتحدث مؤسس علم الاجتماع أوغست كونت عن قانون الحالات الثلاث الذي مر فيه الفكر:

المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة العلمية (الفلسفة الوضعية – أوغست كونت).

لقد تطوّر الفكر مع الثورة العلمية في القرن السادس عشر بيكون– ديكارت–كوبرنيكوس كبلر غاليله نيوتن– سبينوزا – كانت– النسبية والكوانتوم في القرن العشرين.

يشير سعادة إلى التطور الفكري عند الإنسان عندما يتناول مسألة نشوء النوع البشري الّتي شغلت عقل الإنسان منذ ابتدأ الإنسان يشعر بوجوده ويعقل نسبته إلى مظاهر الكون ونسبة هذه المظاهر إليه. فأخذ يتكهّن صدوره عن عالم غير هذه الدّنيا يعود إليه بعد فناء جسده. ويعتبر سعادة أن هذا التصور كان درجةً بارزةً في سلّم ارتقاء الفكر سبقتها درجات من التّخرّصات الغريبة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 9).

ويربط سعادة بين التطور الفكري والتطور الاجتماعي ويقول:

الإنسان يمتاز بعقله وإدراكه، وغاياته ترتقي وفاقاً لارتقاء نفسيته. فهو بعد أن يدرك قوت ساعته يفكر في تأمين استمرار حصول القوت له ليس فقط بالجمع والخزن، بل بالعمل والإنتاج كالزرع والحصاد. وبعد أن يؤمن هذه الناحية يرتقي إلى مرتبة أعلى يعمل عليها للغايات النفسية كالفضائل والفنون والآداب. وانتقل الزعيم من الغاية الإنسانية الفردية إلى الغاية المجموعية فأوضح ترابط الجماعة.

وميّز بين مراتب ارتقاء الإنسان من مرتبة الخضوع للعوامل البيولجية البحتة إلى مرتبة الشعور بالشخصية الفردية، ثم بالعائلة، ثم إلى مرتبة الشعور بشخصية الجماعة الكبرى ـــــ الشعب، الأمة. وبيّن كيف أنّ هذه المرتبة هي التي تحفظ حياة الأمم وعليها تحقق الشعوب مثلها العليا وتكفل أكبر نصيب من الحياة الجيدة. وقال إنّ انتصار فكرة الأمة على فكرة الفرد والعائلة هو العامل الفاصل الثاني في اتجاه الشعب السوري بواسطة الحركة السورية القومية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 209).

القوة الفكرية

القوة قوتان: مادية ومعنوية، وإهمال الواحدة يسبب هلاك الثانية. وقد كانت القوة في الأصل مادية بحتة ثم أخذت تتطور بدخول الفكر البشري وارتقائه حتى أصبحت معنوية أيضاً، وأصبح الفكر أعظم أهمية من المادة، فكثر اعتماد الأمم الحية على الفكر الذي هو قوة غير محدودة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 412)

نظرا لأهمية القوة الفكرية اعتبر سعادة أن الطبقة الراقية المتنورة تتحمل أكبر قسم من المسؤولية في تقرير الحياة القومية، لأنها عقل الشعب وقوته التفكيرية. فعنها يجب أن تصدر الأفكار النيرة والآراء الصائبة، ومنها يجب أن تخرج المبادئ الصحيحة التي هي مصدر

صحة الحياة القومية. فإذا قامت الطبقة المتنورة بواجبها من تسديد مرامي شعبها وإعداد طرق حياته، كانت الحياة القومية صحيحة وكان مطلب الأمة الأعلى جميلا ذا قيمة عقلية عالية. الصحة البدنية جمال للبدن، والصحة العقلية جمال للنفس، وصحة الحياة القومية وجمال المطلب الأعلى يدلان على صحة حياة الأفراد الداخلية وجمال نفوسهم (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 391) .

ويربط سعادة بين الفكر والشعور ويشير إلى أهمية الشعور من حيث هو رابط اجتماعي لا غنى عنه، وعلى أهمية الفن في تقوية الشعور. وقال إنّ من أهم أسباب تخبط الشعب السوري والتفكك الذي آل إليه انعدام الشعور الاجتماعي أو ضعفه الشديد. إنّ المجتمع المتمدن لا يقوم بالفكر وحده ولا بالشعور وحده، بل يتلاحم الفكر والشعور. فقد تُفَرِّق الأفكار الناس مذاهب فيجمعهم الشعور في وحده اجتماعية. ولما كان الفن أبدع مظاهر الشعور وأقوى محركاته فالشعوب الراقية الشعور يُعرف رقيّها باشتغالها بالفنون وبعنايتها به. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 244).

ويؤكّد على الانتصار بالفكر بهذا التعليم السوري القومي تنهض الأمة السورية وكل أمة عربية تتخبط في محاولة عقيمة للتوفيق بين حزبية الدين والواقع الاجتماعي وليس «بسيف الرسول»، كما ينادي رشيد الخوري المأجور ليقول هذا القول. إن سيف الرسول لا يفيد في النهضات القومية. ففائدته الوحيدة كانت لنصرة الدين في بيئة يتعذر فيها الانتصار بالفكر والفهم، في العُربة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 5، 2001، صفحة 150).

منطلقات التفكير

1-حرية التفكير

ينتقد سعادة رئيس المجلس العلمي العربي محمد كرد علي لأنه لا يحترم الحرية الفكرية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 382).

وينتقد الجامعة الأميركية التي أخذت في المدة الأخيرة تتطرف بفرض أنظمة واتجاهات على التابعين لمؤسساتها وذوي العلاقة بها حتى أنها تكاد تجرّدهم من حرية الفكر والقول التي كانت الجامعة نفسها تفخر فيما مضى أنها صفة أساسية لها.

المعروف عن الجامعات في العالم أنّ الفكر فيها حر على أساس العلم، فتتفاعل الأفكار. لا تقاوم النظريات والآراء المتولدة من هذا التفاعل إلا بالنظريات والآراء. أما التحيّز في سياسة الطلاب ومحاولة بعض الدوائر فرض عقلية خاصة عليهم فسياسة تخرج عن الأمانة الدراسية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، الصفحات 157-158)

ويشيد بميشال زكور لأنه يحترم حرية الفكر:

مات ميشال زكور ففقدت الدولة بموته رجلاً من رجالها الكبار، رجلاً كانت الدولة تفتقر إلى مثله، وخسرت النهضة القومية خصماً في العقيدة شريفاً كان وجوده في الحكم إحدى الضمانات لسلامة حرية الفكر. كان الرجل رحب الصدر، واسع العقل يدرك أن اختلاف العقائد والنظريات [ليس] إثماً. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 121).

ويؤكد على حرية الفكر بكونها حقوقا عامة للجميع:

اضطرت حكومة لبنان للإعتراف بهذا الحزب ضمن غايته والترخيص له ليعمل علناً، ممارساً حقوق عضوية الدولة وحرية الفكر التي جاهد هذا الحزب مدة الإثني عشرة سنة الماضية لجعلها حقوقاً عامة لجميع أفراد الأمة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 7، 2001، صفحة 141).

نحن لم نعادِ لا عهداً ولا رجال عهد، ولا تدخّلنا في خصوصيات شخصية ولا حاربنا فرداً من الأفراد. بل نحن آزرنا الذين تحولوا في الأخير إلى الموقف الذي كنا نقفه... آزرنا في كل خطوة... رغم الصفعات التي وجهت إلينا... ونحن اليوم لا نزال كما كنا في الماضي لا نزال في خطتنا الأولى.

قد نتلقى صفعات... ونؤازر كل من أراد لهذه الأمة خيراً. وأول (ما يطلب منه) أن يحترم حرية الشعب. حرية الفكر... يجعل هذه الأمة قوية حرة سيدة متفوقة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 404).

في مقالته عن التفكير العملي والإصلاح الاجتماعي ينتقد بشدة التربية الفاسدة التي تقمع حرية التفكير وحرية التصرف الظاهرة المنتشرة في الأسرة السورية، يقول:

"ترى من مظاهر هذا النظام الفاسد أنّ الأب يقهر ابنه في بعض رغباته الفنية أو العلمية بدلاً من أن يجتهد في تقويم ما اعوج منها وتسديد خطواته في السبل المؤدية إلى تحقيقها. ونرى الأب يقهر الأم في كثير من الأمور الحسنة التي ترغب فيها. ونرى الأب والأم يقهران الإبنة في أعظم رغباتها شأناً في حياتها ويقرران مصيرها تقريراً يسحق عواطفها ويجرّدها من كل إرادة في الحياة، فتصرف بقية حياتها منكسرة القلب حزينة النفس. قولوا لي، أيها السادة، هل يمكن هذه الآنسة متى أصبحت أماً أن تغذي أبناءها بروح الثقة بالنفس والاعتماد على النفس وحرية الفكر وحرية التصرف وسائر الفضائل التي بدونها تكون الحياة عديمة الجدوى، عديمة الارتياح، عديمة السعادة، عديمة المعنى، اللّهمّ إلا معنى الخمول والذل والانحطاط والعبودية؟ وهل يمكن الأطفال النامين تحت ضغط القهر وإذلال النفس أن يخرجوا رجالاً ونساءً أحرارا؟" (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، الصفحات 390-397).

لا حرية فكرية بدون التفكير الحر، التفكير المستقل غير الخاضع للإرادات الأجنبية والمعبّر عن مصالح المجتمع الذي يشكّل وحدة حياة، لذلك يحذّر سعادة من الوقوع فريسة الدعايات الأجنبية ويشدّد على بقاء الفكر السوري حرا مستقلا.

إننا نعترف بأن هنالك مصالح تدعو إلى إنشاء علاقات ودية بين سورية والدول الأجنبية وخصوصاً الأوروبية. ولكننا لا نعترف بمبدأ الدعاية الأجنبية. يجب أن يبقى الفكر السوري حراً مستقلاً أما المصالح المشتركة فنحن مستعدون لمصافحة الأيدي التي تمتد إلينا بنية حسنة صريحة في موقف التفاهم والاتفاق. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، الصفحات 7-8).

ومن هذا المنطلق يرفض المحاكاة المتفشية في شعبنا مما قضى على كل شيء أصلي، حتى حلت المظاهر محل الجوهر وقامت الحركات والإرشادات المقتبسة مقام الأخلاق والمثل العليا. التمدن بعينه لا يعني لنا سوى بعض المظاهر وليس له أقل أثر في أعماق حياتنا النفسية والاجتماعية.. وقد اعتاد الشعب هذه المحاكاة وهذا الميعان، حتى فقد كل ثقة بنفسه، وفقد كل فكر مستقل وكل حرية في التصرف. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 225).

متى خضع الفكر القومي لفكر أجنبي فماذا يبقى من الاستقلال؟ وإذا خضع النظر إلى قيم الحياة إلى نظر أجنبي فماذا يبقى من الاستقلال" (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 28).

موقفنا من الوضع الإنترناسيوني لا يزال مؤسساً على هذه القاعدة. وهي تعني أننا نعمل لتحرير أمتنا من كل سيادة أجنبية وتحرير الفكر السوري من تأثيرات الإرادات والمناورات الخارجية، وأنّنا نرفض أن ننعزل عن العالم ومجرى الشؤون الإنترناسيونية، ولكننا نشترط أن تكون كل علاقة لنا مع أية دولة أجنبية قائمة على أساس الإعتراف بسيادتنا القومية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، الصفحات 52-53).

الاستقلال الروحي

المبدأ السابع يقول: "تستمد النهضة السورية القومية الاجتماعية روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي". يتضح من هذا المبدأ وهذا الكلام أنّ الاستقلال الروحي شيء واضح جداً ومبدأ فاعل له فاعلية عظيمة في حركة الحزب السوري القومي الاجتماعي. هو يوجه الفكر والشعور إلى الحقيقة الداخلية، إلى حقيقة هذه الذات الفاعلة التي هي المجتمع السوري بكل طبيعته بكل مواهبه بكل مثله وأمانيه. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 76).

2-البعد الإنساني (السلام العالمي)

عندما أفكر في الجهود العظيمة التي تبذل لتحقيق فكرة الطمأنينة والسلام العالميين، والمساواة البشرية في الأغراض الإنسانية السامية، تخطر في بالي العقبة الكأداء التي تعترض هذا السبيل، ألا وهي: التاريخ المملوء بالنزعات القومية والعنصرية والإقليمية. أنّ تجريد التاريخ من النزعات والفلسفات المملوء بها يغني عن ألف ألف مؤتمر لتحديد السلام وألف ألف معاهدة لمنع الحرب.

يحملني على الذهاب هذا المذهب استقصاءاتي العديدة، وبحثي في أساليب إعداد التاريخ للمدارس، وطرق تدريسه، وفي التواريخ الموضوعة للرأي العام. فقد توصلت إلى نتيجة مؤلمة لكل المتمثلين الإنسانية السعيدة والمتفائلين بمستقبل سلام العالم، جعلتني أعتقد أنّ نصف ويلات البشرية، على الأقل، يعود إلى سيطرة النزعات على التواريخ الموضوعة بين أيدي الناس، وحشو هذه التواريخ بالفلسفات

المتغرضة والشروح الموضوعة عمداً لمقاصد معينة.

أنّ سلام العالم يتوقف على تنزيه معارفنا في ما يتعلق بأنفسنا وجيراننا والبعيدين عنا أكثر كثيراً مما يتوقف على المؤتمرات والمعاهدات السياسية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 245).

التعليق على كتاب المساواة لمي زيادة

بيد أنّ لكل جواد كبوة، ولكل قلم عثرة. ولكن شتان ما بين كبوات الجياد وعثرات الأقلام، لأن تلك لا تردي إلا فوارسها أما هذه فتردي كثيرين وقد تلقي أمماً وشعوباً بأسرها في هاوية عميقة من التعاسة والشقاء. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 30).

إنّ السلام الحقيقي الثابت في العالم، لا يمكن أن يتم على أساس الحجج التي يستعملها هذا الفريق الاستعماري أو ذاك الفريق الاستعماري. السلام الحقيقي الثابت لا يتم إلا على أساس اعتراف كل من الفريقين المتحاربين لشعوب العالم الحرة بحق الحياة كشعوب حرة وليس كشعوب مستعبدة، سواء أكانت العبودية من قبل الألمان والطليان أم من قبل الإنكليز والأميركان. ويدخل في ذلك عدم الاستعباد الاقتصادي. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 148).

الطبيعة البشرية واحدة

في قصة فاجعة حب يتحدث سعادة بلسان سليم:

أنّ الطبيعة البشرية واحدة في جميع العناصر والشعوب وإن تعددت الأمزجة. إنّ عواطف الحب والبغض والرقة والقسوة والسرور والحزن وبواعث الطرب والتأمل واللهو والتفكير والطموح والقناعة وما ينتج عنها جميعها من ثورات وانفعالات وتصورات نفسية تقصر الكلمات عن وصفها، كل هذه واحدة في جميع الأمم في الشرق والغرب ولا فرق بينها إلا بمقدار تنبّه النفوس وارتقائها وشدة شعورها أو خمولها وانحطاطها وعدم شعورها. فالقوم الذين لا تزال نفسيتهم في دورها الابتدائي أو كانت محجوزاً عليها بحكم العادات والتقاليد العتيقة، الناتجة عن تلك النفسية، كانت موسيقاهم ابتدائية أيضاً.

نهضة الشعب السوري ضرورية للتمدن، لأنه كان موقناً من مزايا الحرية والسلام والمحبة المتأصلة في قومه. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، الصفحات 328–332).

الزعيم حين زيارته الأولى لدمشق سنة 1930، أي قبل تأسيس الحزب السوري القومي بنحو سنتين، يرفض لقب الإمارة فكانوا يتجهون إليه بالتسمية «أنطون بك سعاده» أي الأمير أنطون سعاده. ولكن الزعيم أبى هذا اللقب وكل تقليد صحيح أو غير صحيح يجعله في طبقة فوق الشعب. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 19).

التفكير الإنساني هو في صلب النفسية السورية كما يظهر في أساطيرها وأدبها التي تؤكّد على محاربة الشر (الصراع بين بعل وموت، بين أدونيس والخنزير...) وكما يظهر في فلسفة زينون وفي المسيحية والمحمدية.

يعود الفضل للرواقيين في تطوير مفهوم المواطنية العالمية، وإن لم تكن أكثر من تعبير مجازي، وهي بالتأكيد ليست حالة سياسية أو قانونية. (مينش، 2010، صفحة 156).

تؤكد الفلسفة الرواقية على أن يكون المرء مواطنا عالميا عن طريق العيش وفق قواعد كونية للتصرف الصالح. وهكذا علّمت الرواقية أن الفرد ككائن سياسي فاضل ينبغي أن يكون مخلصا وأن يشعر بولاء عميق لكل من دولته والقانون الطبيعي الكوني. إذ أنه عضو في كل من المدينة، وهي الدولة الموجودة قانونيا ودستوريا، والمدينة العالمية وهي فكرة للمجتمع الكوني الأخلاقي. (مينش، 2010، صفحة 63).

زينون وسعادة

يشير سعادة إلى الارتباط بين فلسفته وفلسفة زينون فيقول:

إنّ من يتأمل فلسفة سعاده في خطبه الممتلئة وفي كتابه «نشوء الأمم» يدرك الرابط العظيم بين فكره وفكر فيلسوف الرواقية، خصوصاً في الناحية الإيجابية البانية التي تعبّر فيها الفلسفتان عن نفسية عميقة متأصلة في المجتمع السوري. إنّ عودة سعاده إلى مبدأ الواقع الاجتماعي في الأمة تخلصاً من فوضى الاعتباطية العقائدية هي في جوهرها أشبه بعودة زينون إلى مبدأ الناموس الطبيعي. على أنّ سعاده كان أغنى بتمثيل جميع نواحي النفس البشرية ومطالبها فلم يقتصر على ناحية الفكر، وإن لم يهملها، وجعل مطلب الحياة الأسمى تحقيق الحياة الحرة الجميلة في المجتمع وتأمين عوامل رقيها. إنّ رسالة سعاده كرسالة زينون إنسانية في غايتها، وكل عودة

إلى مبدأ الفكر والحياة عودة إلى الإنسان. و«إنسانية سعاده» إنسانية منظمة مسؤولة لا فوضى مائعة. إنها الإنسانية الطبيعية في معنى زينون للطبيعة على أنها قائمة على نظام الفكر لا في معنى المستهترين للطبيعة في أنها قائمة على الحيوانية البديهية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 12).

جمود الشرع عن طريق الدين يناقض مبدأ زينون الذي يعتبر أن الفكر أو العقل هو جوهر الحياة الإنسانية. الرسالة المسيحية نقضت جمود الشرع اليهودي وأعطت القيمة للإنسان الذي هو أهم من الشريعة لأن الشريعة وجدت لأجل للإنسان وليس الإنسان لأجل الشريعة. لذلك يقول سعادة عن رسالة يسوع المناقبية "أهم ما فيها، بصرف النظر عن أهمية تعاليمها، أنها أعادت النظرة السورية إلى الحياة القائلة بتسليط العقل على مجرى التاريخ، وأن ميزة الإنسان الأساسية هي الفكر، وأنها كانت انتصار النفسية السورية الفاصل على النفسية اليهودية القائلة بتحديد الحياة الإنسانية وفاقاً للشرع الموسوي." (سعادة ، الأعمال الكاملة 5، 2001، صفحة 129).

شهد عصر زينون تصدع بناء النظام السياسي لدول المدن، وبدأ ظل الامبراطورية العالمية يمتد على العالم. لم يكن للإمبراطورية الناشئة أن تحل محل الرابط الاجتماعي في مجتمع المدينة الصغير، ولذلك ضعف رابط الاجتماعية في الأفراد، بعد تضعضع الأنظمة المحلية، واتصل أثر هذا التغيّر الفجائي بالفلسفة فانحطت إلى جماعات وفرق تسعى كل منها إلى سعادة الفرد واستغنائه دون ما نظر إلى المجموع.

أنشأ زينون المدرسة الرواقية، التي أصبحت فيما بعد أهم مدارس الإغريق الفلسفية على الإطلاق، والتي تولت في الأجيال المتعاقبة نشر الفكر الباني في جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية بواسطة الفلاسفة السوريين والإغريق من أتباع زينون.

أهم مبادئ زينون:

أولاً: إنّ الفكر هو جوهر الطبيعة وميزة الإنسان وهو فكر نقدي متحرر وباني.

الناموس الطبيعي يتمثل في الشرائع الوضعية والتقاليد بمقدار ما فيها من الخير والصلاح ولكنه يتعداها، وأنّ هذا الناموس الطبيعي يمكن اكتشافه بواسطة الفكر ويمكن الاستفادة منه، متى عُرف، لنقد الأوضاع وإصلاحها. إنّ هذه النظرة الفلسفية الموجبة قضت على وثنية التقاليد وأحلت محلها حكم الفكر المتحرر. إنّ جميع الأنظمة البشرية يجب أن تخضع لناموس الطبيعة الذي هو أيضاً تشريع الفكر. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 9).

ثانياً: عيّن زينون حدود الإرادة ومحلها من العناية الإلهية. مصدر الوجود هو واحد وشامل وصالح، وهذا المبدأ يدعو إلى الإيمان بالعناية الإلهية وبانتصار عامل الخير في النهاية على عامل الشر، على أنّ زينون خشي أن يؤدي هذا المبدأ إلى الاتكالية الشرقية، فدعمه بمبدأ الإرادة والواجب وإعمال الفكر.

على الإنسان أن يعمل واجبه بعد إعمال فكره، وأن يسلّم للعناية ما لا يقع تحت طائل إرادته، وهذا ما عرف في التاريخ بالسلوكية، الرواقية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 9).

إنّ الهدف الأسمى للإنسان هو ترقية الفكر وتعزيز المبدأ الفكري في العالم. لذلك حتم زينون سيطرة الإرادة على عوامل اللذة والألم في الإنسان وكانت هذه الميزة مما اشتهر به الرواقيون في جميع عصور التاريخ.

جاء زينون يدعو إلى تحكيم الفكر في الشرع والتقليد محرراً الإنسان من عبوديته العمياء الماضية فاتحاً الطريق لتحقيق مطالب الرقي الناشيء. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 10).

سعادة هو زينون آخر. إنّ زينون لم يستطع أن يعيّن بالضبط ما هي المسؤولية الملقاة عليه وعلى أمته تجاه العالم وتجاه تحقيق مبدأ الفكر والنظام والعدل في الإنسانية ولذلك نراه يموت معلماً شريدا عن بلاده تاركاً أمته المؤهلة لحمل رسالته في التاريخ تتقلب على الفتوحات من جيل إلى جيل. إنّ زينون الرواقية رسم الخطة ولم يبنِ ولم يعنَ بقيمة المؤسسات التي وحدها تتولى تحقيق المبادىء. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 11).

أما زينون القومية، سعاده، فقد رسم الخطة ووضع نفسه في الطليعة. لقد رأى رؤية زينون البديعة، رؤية إنسانية عادلة منظمة، يسيطر فيها عامل الفكر وتنقشع عن سمائها غياهب الأوهام، ولكنه قبل أن

ينصـرف إلى الأحلام أراد أن تكون أمته مسـتعدة للقيام بقسـطها في إنشاء حضـارة العالم (سـعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صـفحة 12).

إنّ الحركة السورية القومية لم تأتِ سورية فقط بالمبادئ المحيية، بل أتت العالم بالقاعدة التي يمكن عليها استمرار العمران وارتقاء الثقافة. إنّ الحركة السـورية القومية ترفض الإقرار باتخاذ قاعدة الصـراع بين المبدأ المادي والمبدأ الروحي أسـاسـاً للحياة والأعمال الإنسـانية. ولا تقف الحركة السـورية القومية عند هذا الحد، بل هي تعلن للعالم مبدأ الأساس المادي ـــ الروحي للحياة الإنسانية، ووجوب تحويل الصراع المميت إلى تفاعل متجانس يحيـــــي ويعمر، ويرفع الثقافة ويسيّر الحياة نحو أرفع مســـتوى. إنّ في المبدأ الســـوري القومي إنقاذاً لا يقتصـــر على سـورية، بل يتناول وضـــعية المجتمع الإنســان كله. ونهضـــتنا لا تعبّر عن حاجاتنا نحن فقط، بل عن حاجات إنســـانية عامة» (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 23).

3- التفكير العلمي

سعادة ابن المدرسة العلمية وهو ينطلق في دعوته نتيجة الدرس على قواعد معرفة علمية واسـعة وعميقة ومختصـة في التاريخ الإنسـاني السـياسـي والاجتماعي والثقافي وفي الفلسـفات القديمة والحديثة وفي علوم الاجتماع والأنتروبولوجيا.

طريق المعرفة العلمية

ضـــرورة المعرفة للحقيقة وعدم كفاية الوجود غير العاقل في ذاته لتكوين قيمة الحقيقة، لأن الحقيقة قيمة فكرية تحصـــل في العقل أو الضمير بواسطة المعرفة فقط.

موقف ســـعاده هو موقف الفيلســـوف المعتمد العقل والمعرفة وليس الحدس والتخمين (سـعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، الصـفحات 260-261).

اعتماد العقل البحثي الذي يتبصـــر ويميّز ويعيّن الأهداف والذي لا يكتفي بالتنظير بل يتجه إلى العمل والفعل في الوجود، العقل الحر ولا يجوز تعطيله.

لم يوجد العقل الإنساني عبثاً. لم يوجد ليتقيد وينشلّ. بل وجد ليعرف، ليدرك، ليتبصـــر، ليميّز، ليعيّن الأهداف وليفعل في الوجود. وفي نظرتنا أنه لا شـيء مطلقاً يمكن أن يعطل هذه القوة الأسـاسـية وهذه الموهبة للإنسان.

العقل في الإنسـان هو نفسـه الشـرع الأعلى والشـرع الأسـاسـي. هو موهبة الإنسان العليا. هو التمييز في الحياة فإذا وضعت قواعد تبطل التمييز والإدراك، تبطل العقل، فقد تلاشـت ميزة الإنسـان الأسـاسـية وبطل أن يكون الإنسان إنساناً وانحط إلى درجة العجماوات المسيّرة بلا عقل ولا وعي.

سـنّة الله أو سـنّة الطبيعة هي التي لا يفعل فيها عقل مميز مدرك، وهذه للجمادات والعجماوات.

أما الإنســـان فالله قد أعطاه القوة المميزة المدركة لينظر في شـــؤونه ويكيّفها على ما يفيد مصـــالحه ومقاصـــده الكبرى في الحياة. فليس معقولاً إذن أن يعطل الله نفسه هذه القوة بشرع أبدي أزلي جامد. لذلك كان العقل الإنساني. كان الإنسان، كان المجتمع الإنساني حراً بإرادة الله، حراً بإرادة المصـــدر الذي نشـــأ عنه لكي يســـير نحو ما هو الأفضـل، ليقرر بذاته ما هو الأفضـل في حياته. ليسـير بقوة تمييزه وإدراكه نحو ما هو الأفضـــل ليقرر من ذاته وبذاته ما هو المصـــير الأفضل في حياته (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، الصفحات 94-95).

التعيين هو شرط الوضوح. فالوضوح ـ معرفة الأمور والأشياء معرفة صحيحة ـ هو قاعدة لا بد من اتباعها في أية قضية للفكر الإنساني وللحياة الإنسـانية. (سـعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صـفحة 82).

لا بد لقيام الحقيقة من شرطين أساسيين: الأول الوجود بذاته أي أن يكون الشـيء موجودا. والثاني أن تقوم المعرفة لهذا الوجود. والمعرفة هي التي تعطي الوجود قيمة لا يمكن أن تكون له بدونها.

الحقيقة قيمة إنســـانية نفســـية والإنســـان هو وحده الذي يميز بين الحقيقـة والبـاطـل بـالمعرفـة. إذن، لكي نكون موقنين بوجود أمتنـا، نحتاج إلى معرفة حقيقة هذا الشـــخص أو هذه الأمة أو هذه البلاد. وهنا تبدو أهمية هذا المبدأ الرابع الأســـاســـي. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 49).

للتأكيد على أهمية التفكير العلمي والفلسفي أنشأ سعادة الندوة الثقافية في الحركة القومية الاجتماعية في خريف ســـنة 1937 للأبحاث

الثقافية ولنقل الفكر من السطحيات ومسائل الإدراك العادي إلى الأساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي" (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 209).

لا يمكن مواجهة الأخطار والتحديات بدون البحث عن الحقيقة. هذه الطريق يمكن أن نسميها طريق الوعي القومي الذي يؤمن لنا الخروج من التخبط في ماهية حقيقتنا في من نحن وما هو وجودنا وما نبغي في الحياة (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 418).
الأسئلة التي طرحها سعادة ما نحن؟ هل نحن أمة؟ تشكّل نقطة الابتداء في البحث عن حقيقتنا

"ابتداء التفكير في معنى ماهية الجماعة الإنسانية التي هي نحن وأهدافنا الكبرى التي تعبّر عن حقيقتنا ووجودنا نحن وجوارنا نحن. كل هذا يعني أنّ قواعد الفكر التي نشأت عليها هذه النهضة القوية وينمو بها الحزب السوري القومي الاجتماعي هي قواعد فلسفة عميقة تتناول المسائل الأساسية، غير التي ترتبط بوقت معيّن تمضي بمضيه أو بشكل من الأشكال الجزئية، بل هي عامة ثابتة، أو، بالمعنى الفلفسي المطلق، ليست منسوبة إلى وقت أو حالة معيّنة وقتية تزول بزوال تلك الحالة.

بهذه الأسئلة وابتداء الفكر من هذه النقاط وضعت مبادىء الحزب السوري القومي الاجتماعي لتعطي الجواب على الأسئلة العلمية الفلسفية العميقة المتقدمة. " (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 35).

ويدعو سعادة إلى الدراسة المنظمة لفهم القضية القومية بكل أبعادها.

"بديهي إذن أن لا نتمكن من فهم قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي كلها بكامل أجزائها وفروعها وما تتكشف عنه من مناقب وأهداف سامية وما تتعرض له في سيرها من مثالب في الحياة، إلا بالدرس والتأمل الطويل. إنّ قضية من هذا النوع تتكشف عن كل هذه الأهداف الخطيرة تحتاج إلى دراسة منظمة متسلسلة لا تجمعها محاضرة واحدة أو كتاب بل هي تستمر، ويستمر الفكر يتغذى منها ويتفتح على شؤون العالم مطلقا، ويظل مجتمعنا يجد في هذا التفتح وهذا الاستمرار مراقي إلى ذروة الحياة الجيدة التي تليق بالإنسان الراقي ويليق الإنسان الراقي بها." (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 15).

ينطلق من فهم الواقع الإنساني والاجتماعي

"هذا العصر الذي نعيش فيه، والذي سيعيش فيه أولادنا، إنما هو عصر تنازع الأمم، عصر تتقيد فيه الأفراد والجماعات بمصير أممها، فإن كانت الأمة ناهضة، راقية، متقدمة في ميدان الحياة كان لأفرادها وجماعاتها مقام وكرامة على نسبة ذلك.
إنه عصر أعمال، لا عصر أقوال. فيجب أن يكون مدعوما بالقوة العملية ليكون من ورائه نفع أو نتيجة واقعية، ونحن أمة واقفة، الآن بين الموت والحياة، ومصيرها متعلق بالخطة التي نرسمها لأنفسنا والاتجاه الذي نعينه.
الاعتماد على النفس فصل الخطاب، فالأمم التي اعتمدت على نفسها وتجهزت بما يدفع عن كيانها بقيت وفازت، والأمم التي علقت أمالها على المقامرة والمضاربة في الشؤون السياسية، معتمدة على قوات ليست في قبضتها وواضعة ثقتها في تدبيرات خارجية سقطت وتلاشت. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، الصفحات 490–491).
ان مبدأ المصلحة القومية هو الذي يقرر سياسة العالم. كل ما يدور من اللغط حول المسائل الانسانية، وانتصار بعض الدول لمبادئ العدل الإنساني، فإعادة نغمة قديمة القصد منها التغرير بالشعوب الخائفة على مصيرها واكتسابها لجهة القائلين بهذه المبادئ. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 179).

لا تعني الوحدة الإنسانية وحدة حقيقية لجميع الناس وتساويا تاما في التمتع بموارد الخير وفي توزيع الموارد الأولية الموجودة في الأرض على جميع الناس بالتساوي، ولا تعني صيرورة الناس أمة واحدة في وحدة الحياة والشعور والنظر إلى الحياة.
لا تعني وحدة الحركة العمالية الطبقية الشيوعية في العالم، أن العمال السوريين ستكون لهم حالة مساواة في الحياة والمعاشرة والمنزلة والنتائج مع العمال الروسيين والفرنسيين والإنكليز وغيرهم، فخصائص الشعوب ونفسياتها لا تزول بمجرد فكرة سياسية أو اقتصادية. ولا تعني العالمية الأميركانية أن الأميركان مستعدون لمقاسمة جميع الشعوب الفقيرة خيرات بلادهم. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، الصفحات 324–325).

الأمم لا تنشـــأ بالأهواء والرغبات الاســـتبدادية، بل بالنواميس الاجتماعية.

والدول لا تقوم على الهوس الديني بالشـــؤون المختصـــة بما وراء المادة، بل على القواعد السياسية – الاقتصادية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 5، 2001، صفحة 252).

إذا كانت الدولة مظهرا سياسيا من مظاهر الاجتماع البشري فالأمة واقع اجتماعي بحت. ودرس الأمم ونشـــوئها هو درس اجتماعي، لا درس ســـياســـي، وإن كان لا غنى للعلم الســـياســـي عن درس الأمة والقومية، لأهميتها في النظريات الســـياســـية وفعلها في تغيير مجرى الشؤون السياسية وإصلاح المعتقدات والمبادئ السياسية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 119).

مقال في الجريدة بتاريخ 10-6-1922

يظهر المقـال التفكير العلمي وانتهـاء زمن المعجزات والعجـائـب والخرافات، رفض الاتكال الغيبي والخارجي والســير بموجب الحقائق الراهنة فيقول:

"زمن المعجزات والعجائب والخرافات قد مضى وأصبح الناس يسيرون على أنوار الحقائق بعد أن كانوا يســيرون في ظلمات الجهل. والذين لا يبتغون الحقائق خاســرون لا محالة. ونحن لكي نكون من الفائزين في نهضــتنا الحديثة، يجب علينا أن نســير بموجب الحقائق الراهنة. أما إذا كنا ننتظر مسيحا آخرا آتيا من السماء، أو أما حنونا آتية من الأرض لتمنحنا ما نريد، فثقوا بأننا ســننتظر إلى الأبد. " (ســعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 18).

ينتقد ســـعادة الأشـــخاص الذين يطلقون مواقف من غير أي تحليل لوضعية سياسية ــ اجتماعية معينة ودون إعمال الفكر، ودون دراسة التاريخ السياسي وعلم الحقوق الدستورية. والجهل التّام لمبدأ الأسباب والمسببات، ومبدأ الكفاءات والاحتياجات. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، الصفحات 161-162).

قضية فخري المعلوف

غرق فخري المعلوف في الهوس الـديني فلم يكتف بـالانتمـاء إلى عقيدة دينية وله كل الحرية بذلك، ولكنه أراد جعلها قاعدة لقياس كل أمر ديني أو مدني أو ســـيـاســـي أو قومي. وهذا مخالف لمبادئ العقيدة القومية الاجتماعية القائلة بتســاوي الأفراد في حرية الاعتقاد الديني، وبالفصـل فصـلاً تامًّا بين المسـائل الدينية والقضـية القومية الاجتماعية والسياسية.

يقول ســـعادة: "الغريب في موقف الأمين معلوف أنه لا يطلب حرية الاعتقاد التي هي مكفولة في مبادئنا ونظامنا ومؤيدة بخطب ومقالات للزعيم بل يطلب اســـتخدام حرية اعتقاده ليفرض على الحزب وجوب اعتماد "الحقائق الدينية الفلسفية التي لا يمكن برهانها بالعقل البشري المجرّد" وهو لا يعني شـــيئاً أقلّ من وجوب تقييد حرية الفكر بإقرار هذه "الحقائق" النظرية الجدلية المفترضـة واعتمادها كحقائق واقعية لا يمكن الجدل فيها. وطلبه اعتماد "الحقائق" التي يذكرها لا يعني شـيئاً أقلّ من جلب نزاع النظريات والمذاهب الفلســفية الدينية والمســيحية والمحمدية، واللادينية." (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 11، 2001، صفحة 28).

"انقلـب فخري المعلوف من دارس ومفكر في مســـائـل الاجتمـاع الإنســـــاني الكبرى إلى "مؤمن" متحزب لبعض العقـائـد والمـذاهـب الاصـطلاحية، يريد تقرير شـؤون الإنسـان الاجتماعية والسـياسـية والنفسـية بالإيمان بالافتراضـات الدينية الاصـطلاحية التي يسـميها "حقائق" وبإحلال الإيمان محل العقل والعلم والبرهان." (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 11، 2001، صفحة 70).

النتيجة التي وصـــل إليها فخري المعلوف تقدّمه إليها شـــارل مالك، "الذي وجد زبدة الفلسـفة في الفلسـفة الدينية والفلاسـفة الكلاسـيكيين الإلهيين ولم يتأثر بمجاري الفكر العلمي التي أظهرت الفلســـفات العصـــرية من اجتماعية ومادية ولا مادية وغيرها فبقيت القضـــايا الإنســـانية الكبرى محدودة له في نطاق الفكر القديم." (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 11، 2001، صفحة 95).

الهوس الذي أصـــاب فخري المعلوف وحماســـه لقضـــايا مذهبية هو بتعبير ســـعادة انحطاط عقلي وعودة بالفكر الإنســـاني إلى عقلية القرون الوسـطى. (سـعادة ، الأعمال الكاملة 11، 2001، صـفحة 117).

يشـكّل كتاب نشـوء الأمم الذي ألفه سـعادة في السـجن سـنة 1936 الأسـاس العلمي للعقيدة القومية الاجتماعية وفلسـفتها التي تعبّر عن النظرة الجديدة إلى الحياة والكون والفن.

يصف سعادة هذا الكتاب بأنه كتاب اجتماعي علمي بحت تجنب فيه التأويلات والاستنتاجات النظرية وسائر فروع الفلسفة. وأسندت حقائقه إلى مصـــادرها الموثوقة. واجتهد في الوقوف على أحدث الحقائق الفنية التي تنير داخلية المظاهر الاجتماعية وتمنع من إجراء الأحكام الاعتباطية عليها. (سعادة، الأعمال (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 6).

في مقدمة الكتاب يتحدث عن ظاهرة الوجدان القومي التي هي أعظم ظاهرة في عصرنا، ويعتبر أنه في سياق تطور الاجتماع الإنساني كان ظهور شخصية الفرد حادثا عظيما في ارتقاء النفسية البشرية، أما ظهور شخصية الجماعة فأعظم حوادث التطور البشري، ويعرّف شـــخصـــية الجماعة أو الوجدان القومي ب "مركّب اجتماعي – اقتصادي–نفساني يتطلب من الفرد أن يضيف إلى شعوره بشخصيته شعوره بشخصية جماعته، أمته، وأن يزيد على إحساسه بحاجاته إحساسه بحاجات مجتمعه وأن يجمع إلى فهمه نفسه فهمه نفسية متحده الاجتماعي، وأن يربط مصالحه بمصالح قومه، وأن يشعر مع ابن مجتمعه ويهتم به ويود خيره، كما يود الخير لنفسه." (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 5).

يؤكّد على أهمية دراسة الواقع الاجتماعي وظروفه وطبيعة علاقاته: "كلّ جماعة ترتقي إلى مرتبة الوجدان القوميّ، الشّعور بشخصيّة الجماعة، لا بدّ لإفرادها، من فهم الواقع الاجتماعيّ وظروفه وطبيعة العلاقات النّاتجة عنه. وهي هذه العلاقات الّتي تعيّن مقدار حيويّة الجماعة ومؤهّلاتها للبقاء والارتقاء، فبقاؤها غامضةً يوجد صعوبات كثيرةً تؤدّي إلى إساءة الفهم وتقوية عوامل التّصادم في المجتمع فيعرقل بعضه بعضاً ويضيّع جزءاً غير يسير من فاعليّة وحدته الحيويّة ويضعف فيه التّنبّه لمصالحه وما يحيط بها من أخطار من الخارج.

وإنّ درساً من هذا النّوع يوضح الواقع الاجتماعيّ الإنسانيّ في أطواره وظروفه وطبيعته ضروريّ لكلّ مجتمع يريد أن يحيا. ففي الدّرس تفهّم صحيح لحقائق الحياة الاجتماعيّة ومجاريها. ولا تخلو أمّة من الدّروس الاجتماعيّة العلميّة إلا وتقع في فوضى العقائد وبلبلة الأفكار." (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 5).

ليست القوانين الاجتماعية ولا النظريات هي الأساس في فهم الواقع الاجتماعي وإنما العودة إلى الواقع الاجتماعي الطبيعي ودراسته وفهمه.

ويعتبر أنّ "النّاموس(القانون) اصطلاح بشريّ لمجرى من مجاري الحياة أو الطّبيعة نقصد به تعيين استمرار حدوث فعل أو خاصّة من أفعال وخواصّ الحياة أو الطّبيعة، لا أن الطبيعة أو الحياة وضعت لكائناتها هذه النّواميس وأمرتها بالسّير عليها. وفي كلّ النّواميس الّتي نكتشفها يجب أن لا ننسى أنّنا نستخرج النّواميس من الحياة فيجب أن لا نجعلها تتضارب مع المجرى الطّبيعيّ الّذي نعرفه بها. فكوننا اكتشفنا ناموساً أو ناموسين من نواميس الحياة العامّة يجب أن لا يحملنا على نسيان الواقع الطّبيعيّ ونواميسه الأخرى، فالنّواميس لا تمحو خصائص الأنواع. وإذا كنّا قد اكتشفنا سنّة التّطوّر فيجب أن لا نتّخذ من هذه السنّة أقيسةً وهميّةً تذهب بنا إلى تصّورات تنافي الواقع وتغاير الحقيقة.

إنّ القياس كان ولا يزال مصيبةً كبيرةً في الأبحاث العلميّة الاجتماعيّة، خصوصاً في الأبحاث الّتي لا تجرّد علم الاجتماع من النّظريّات الفلسفيّة، من الفلسفة الاجتماعيّة، ما أوجد شيئاً كثيراً من الخلط في المسائل الاجتماعيّة عموماً ومسألة الأمّة والقوميّة خصوصاً (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، الصفحات 119–120).

ويدعو إلى وجوب قراءة كتاب نشوء الأمم لاكتساب الأساس العلميّ الفلسفيّ الذي يمكّن من فهم الأبحاث الاجتماعية والسياسية الهامة للمجتمع الانساني ومصيره. (سعادة ، الأعمال الكاملة 7، 2001، صفحة 114).

مفهوم الوجدان القومي يناقض النزعة الفردية والنزعات الفئوية على اختلافها لأنه ينطلق من مفهوم المجتمع الذي يشكل وحدة حياة ومصلحته هي الضامن لمصلحة كل فرد بينما الانطلاق من مصالح الفئات أو الأفراد سيؤدي إلى التصادم والتفكك وضياع المصالح كلها وتهديد الوجود الاجتماعي كله.

غير أن مفهوم الوجدان القومي لا يعني إلغاء الشخصية الفردية ولا الحط من كرامة أي فرد بل على العكس من ذلك إن الارتقاء إلى مرتبة الوجدان القومي تؤدي إلى تعزيز كرامة كل فرد.

سعادة يقيل المنفذة العامة للسيدات لأنها قالت لناموسة المنفذية

سؤالك بدون معنى.

في رسالته إلى الياس فاخوري يقول: " جوابك في الجلسة أو الاجتماع «إنّ سؤال حضرة المنفّذ بدون معنى» هذا الجواب يعني التحدي العلني لصلاحية المنفّذ ولحرمة مركزه تجاه الأعضاء، أما جوابك فلا يمكن قبوله ضمن دائرة النظام. إن مثل هذا القول صدر من المنفّذة العامة للقوميات إلى ناموسة المنفذية وكان صدوره بهذا الشكل داعياً إلى استجواب المنفّذة العامة في اجتماع عمومي وإقالتها من وظيفتها." (سعادة ، الأعمال الكاملة 10، 2001، صفحة 202).

سعادة شديد الحرص على كرامة الجميع والشخصية الإنسانية في كل إنسان.

في رسالته إلى غسان تويني يؤكّد سعادة أنه: "شديد الحرص على كرامة المعاونين وجميع الرفقاء وعلى كرامة قيمة الفكر والشخصية الإنسانية في كل انسان. (سعادة ، الأعمال الكاملة 11، 2001، صفحة 264).

ينطلق سعادة من الواقع الاجتماعي الذي يشكل وحدة حياة وحدة عمرانية وحدة اقتصادية وحدة جغرافية واستراتيجية، والأمة هي هذا الواقع الاجتماعي. يقول:

"إنّ أول نقطة نأخذها هي: أننا ننظر إلى الأمة في واقعها ـــــ في تكونها وحدة حياة، ومن غير اعتبار وجوب إخضاعها لأي مبدأ أو قاعدة استبدادية مطلقة لا تقوم الحقيقة لإخضاعها إليه. لذلك لا بدّ من أن نعتبر الأمة أمراً واحداً: إنه وحدة الحياة التي جمعت فيه **مجمل** العناصر الأساسية التي تتركب منها ودمجها بعضها ببعض فكوّنت منها حياة واحدة، متفاعلة، موثقة، اي مجتمعاً واحداً موحّد الحياة والمصير... هذه هي حقيقة أولية ومنها يجب أن نبتدئ لأنها هي الوجود الذي نراه ونلمسه وندركه بالحاسة وبالفكر والذي نحياه. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 50)

انطلاقا من الواقع الاجتماعي للأمة يحدد سعادة المصالح المتنوعة، من المصالح الشكلية للأفراد إلى المصالح العامة الدائمة، والإرادة العامة ترتبط بالمصلحة العامة.

المصالح على ثلاثة أنواع:1- النّوع الأساسيّ وهو يشمل المصالح الحيويّة والمصالح النّفسيّة (العقليّة).

2- ثمّ تأتي المصالح الاقتصاديّة البحتة (تمييزاً لها عن المصالح الاقتصاديّة الحيويّة الّتي تبعث الجمعيّات الحيويّة في نوعيها الجنسيّ واللاجنسيّ) وهذه تتناول الجمعيّات الماليّة والتّجاريّة الكبرى والمصارف والشّركات المتّحدة وغيرها

3-وتأتي في أرقى المراتب المصالح السياسيّة

وكلّما ارتقى المتّحد في ثقافتيه الماديّة والعقليّة ازدادت المصالح المعيّنة الّتي من شأنها ترقية الحياة الجيّدة وتجميلها. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 128).

المصلحة والإرادة هما قطبا المجتمع فواحدها سلبيّ وهو المصلحة والآخر إيجابي وهو الإرادة، فالمصلحة هي الّتي تقرّر العلاقات جميعها والإرادة هي الّتي تحقّقها. وبديهيّ أنّه لا إرادة حيث لا مصلحة. فالمصلحة هي طلب حصول ارتياح النفس. وتحقيق ارتياح النّفس هو غرض الإرادة. وكلّما نمت الحياة وازدادت ازدادت المصالح الّتي تولّد الاجتماع وقلّت المصالح المفرّقة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 123).

المصالح، مبدئياً، صنفان:

المصالح المتشابهة أو الشّكليّة التي هي لكلّ فرد مثلما هي لكلّ فرد آخر، كتحصيل المعاش أو ربح الصّيت أو جمع الثّروة، أو أيّ مصلحة أخرى شخصيّة خاصّة. فهذه المصالح هي شكليّة أو متشابهة ولكنّها لا تقتضي اتّحاد من يريدونها أو إيجاد علاقة اجتماعيّة ثابتة فيما بينهم.

وهنالك المصلحة العامّة أو المشتركة الّتي يجمع عدد من النّاس على الاشتراك في تحقيقها لأنّها تشمل الكلّ، كمصلحة خير القرية أو المدينة أو القطر. ومهما كان الباعث على العمل لهذه المصلحة، فالمصلحة نفسها تظلّ مصلحة الجميع لأنّها تشملهم. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 126).

في مستهل خطاب صافيتا يشير سعادة إلى واقع العالم الذي هو معترك تنازع الحياة والتفوق بين الأمم.

واجبنا هو الدفاع عن مصالح الأمة.

بعد زمن طويل لفقدان الإرادة السورية في تقرير مصيرها ومصالحها حان الوقت ليعرف العالم أن للأمة السورية بعد تأسيس الحزب إرادة في تقرير مصيرها ومصير مصالحها في كل شأن من شؤون البحر المتوسط والشرق الأدنى.

أول مصلحة من مصالحنا هي صيانة كل شبر من هذه الأرض المقدسة التي عليها نحيا ومنها نستمد موارد الحياة.

ويتناول الخطر الذي يهدد هذا الحق وهذه المصلحة، الخطر التركي في الشمال والخطر الصهيوني في الجنوب.

تم وضع المبادئ الأساسية والإصلاحية التي تعطي الأمة حاجاتها وتؤسس مصالحها.

المصالح المتنوعة والمصالح الخاصة يجري تعزيزها وضمانها بواسطة النظام القومي الذي يجعل منها وحدة تامة، هي مصلحة سورية.

مصلحة الأمة هي ضمان لمصلحة كل عضو من أعضاء الدولة السورية القومية.

مصلحة الأمة كمنطلق وغاية هي الضمان لتحقيق مصالح الجميع.

الامتيازات المدنية استعبدت الشعب لأغراضها، وقتلت شخصية الأمة في سبيل مصالحها الشخصية، لذلك يلغي الحزب هذه الامتيازات ويعمل لخير الأمة ومصلحة الدولة وليس لحساب أشخاص وجماعات. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، الصفحات 59-63).

أصحاب النزعة الفردية وأصحاب النزعة الفئوية (دينية مذهبية، أو قبلية أو طبقية) يعرضون مصالح الأمة التي هي مصالح الجميع إلى الخطر ويتحولون إلى أدوات لخدمة مصالح أعداء الأمة.

لذلك شدّد سعادة على القوميين الاجتماعيين أن يكافحوا النزعة الفردية مكافحتهم الاحتلال الأجنبي، بل أشد. فخطر الاحتلال الأجنبي من الخارج، أما خطر النزعة الفردية على سلامة المجتمع فمن الداخل. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، الصفحات 159-160).

ويشير سعادة إلى تفشي النزعة الفردية في الجيل السوري الحاضر. ومبلغ خطر هذه الظاهرة الاجتماعية على منظماتنا ومؤسساتنا ومشاريعنا العمومية. ويعتبر النزعة الفردية مخالفة لطبيعة الاجتماع، لأنها ترمي إلى جعل السيادة في الفرد نفسه وليس في المجتمع ونظامه. ولما كان الأفراد غير موجودين إلا في الجماعة، كانت النزعة الفردية، أكبر عامل تفكك وهدم لكيان الجماعة. ذلك لأن كيان الجماعة لا يقوم إلا بخضوع أفرادها طوعاً أو كرهاً، لكيانها ونظامها، وإننا نلاحظ هذه الحقيقة من درسنا تاريخ التطور الإنساني وتواريخ أنظمة الجماعات والدول منذ أقدم الأزمنة التاريخية إلى اليوم. والأنظمة يصير تطورها وارتقاؤها ضمن دائرة الاعتراف بالنظام وتقديم حق الجماعة على حقوق الأفراد. فنظام الجماعة يتطور ولا يلغى، ويقوم على إرادة الجماعة حسب اختيارها أو قبولها وليس على إرادة الفرد. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 185).

4-التفكير العملي

أريد تحويل الفكر عن مجرّد الاطّلاع والإلمام بعموميات القضايا الفكرية التي تبقى فائدتها في عالم النظريات، أما من الوجهة العملية فإنها تستفز روح الشباب استفزازاً عديم الجدوى، لأنها لا تعيّن مسائل خاصة تستدعي استضمام الفكر للبدء بحلّها بالتفكير العملي الذي يقودنا حتماً إلى العمل. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 390).

وإني أفكر بإعداد مشروع مساعدة المهاجرين للمدرسة القومية، فأطبع أوراقاً لهذا المشروع، وأؤلف اللجان الخاصة لهذا الغرض هنا وفي البرازيل ثم في المهاجر الأخرى. (سعادة ، الأعمال الكاملة 9، 2001، صفحة 164).

الفكر السوري الصحيح المتحرر من قيود الصوفية واللاحسية. هذا هو التفكير الصحيح الذي يدرك الواقع ويعالج المحسوس. فإذا أضفنا إلى هذا التفكير مبادئ النهضة السورية القومية ونظام حركتها وجميع حقائقها الروحية والمادية، خرجنا باتجاه نحو هدف واضح وقصد خالص وفي هذا الخروج سر النجاح. (سعادة ، الأعمال الكاملة 9، 2001، صفحة 288).

يجب أن ننشئ لأنفسنا تربية قومية مؤسسة على المبادئ الشعبية الصحيحة التي تقوي فينا احترام النفس والثقة بالنفس، وأن نوجد لأمتنا مركزا محترما بين الأمم وأن نحقق بأنفسنا مطلبنا الأعلى الذي

نفتخر بأنه يمثل مزايانا الخاصـــة بكل ما فيها من الروح الســـليمة والمدارك العقلية العالية ونجعله منارنا الخاص الذي يهدينا إلى ما فيه فائدتنا وفائدة البشـرية جمعاء. (ســعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 388).

التربية

الأطفال هم ســـر الأمم المكنون وزخمها المخزون. هم الجبابرة إذا أطلقوا أحرارا مدربين، مروضـــين، وهم الأقزام إذا عقلوا وكبتوا أذلاء. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 223).

تعلمون أنّ النهضـــة الســورية القومية الاجتماعية تعني تغيير اتجاه الأمة السورية من فوضـى الانحطاط إلى نظام النهوض. من مصـير الاضـــمحلال إلى مصـــير الوجود الحي، العامل، بوعي كامل، لأغراض الحياة الجيدة ومقاصـــد النفس القومية الكبرى (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 226).

أنّ القضـية الأولى التي تواجه العقيدة القومية الاجتماعية هي قضـية التربية والتثقيف، ـــ قضية الصراع المميت بين تاريخ حديث وتواريخ دخيلة مستمرة ـــ قضية الصراع الفاصل بين نفسية فتية تنظر إلى الحياة والكون والفن نظرة جديدة ونفسـيات شـائخة اعتادت النظر إلى شؤون الحياة والكون ضمن الحدود المغلقة التي تكونت فيها. فقضية الصـــراع العقائدي الذي أثارته الحركة الســورية القومية الاجتماعية بتعاليمها الجديدة هي قضـية صـراع ثقافي تعليمي بين مبادىء الحياة الجديدة ومبادىء الحياة الجامدة (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 230).

إنّ صـلب المعركة ليس مع الذين انتهى تكوينهم النفسـي على خطط منافية للعقيدة القومية الاجتماعية وللنفســـية التي تتطلبها، بل في العمل مع الذين هم في طور التكوين النفسي، إنّ صلب المعركة هو في تثقيف نفســـية الأحداث ومعارفهم في البيت وفي المدرســـة الابتدائية والمدرسـة الثانوية. وتسـتمر المعركة العقائدية ما وراء ذلك (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 231).

في هذه الحالـة تبرز لنـا بوضـــوح أهميـة المـدرس والمربي القومي الاجتماعي المنصـرف إلى التدريس والتربية والإرشـاد. فإذا كان تعليم العقيدة الســورية القومية الاجتماعية وغاية الحركة الســورية القومية الاجتماعية هو أول عمل اسـاسـي من أعمال هذه الحركة العظيمة، كان المدرس القومي الاجتماعي أول جندي في معركة العقيدة القومية الاجتماعية. إنه جندي خط الهجوم الأول الذي عليه أن يدخل صلب المعركة ويحارب لإنقاذ نفوس الأحداث من العقائد الغريبة أو المتأخرة وإدخال العقيدة القومية الاجتماعية، المحررة، البانية إليها. فهل فقه المدرس، المثقَّف القومي الاجتماعي مهمته الأســـاســـية الخطيرة؟ (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 231).

إذا ربحنا الأحداث ربحنا معركة العقائد ومعركة المصير القومي كله. فهدف مؤتمر المعلّمين السـوريين القوميين الاجتماعيين السـنوي هو: ربح الأحداث للنهضـة السـورية القومية الاجتماعية التي تشـق طريق حياة جديدة للأمة الســورية (ســعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 234).

مبدأ التضـــحية الفردية في ســبيل خير المجتمع هو أهم مبدأ مناقبي قام عليه فلاح أي مجتمع متمدن أو متوحش. والتضـــحية ليس لها شـكل واحد لأنها ليسـت حالة شـكلية بل مبدأ عاما. فالذي لا تكون التضـــحية قاعدة عامة عنده لا يعرف البطولة الاجتماعية ولا يقدم عليها ففائدته للمجتمع قليلة أو سلبية. ومن أشكال التضحية تضحية الشهوات الحادة وتضحية الأنانية العمياء، وهذه التضحية صعبة جدا على الذين لم يروّضـوا أنفسـهم على الفضـائل. (سـعادة ، الأعمال الكاملة 5، 2001، صفحة 147).

التفكير العملي المجموعي

وأول مـا يجـب أن نبـدأ بـه هو أن نحوِّل التفكير النظري، الـذي لا يحقق شـيئاً بذاته، إلى تفكير عملي يدفعنا إلى العمل على تحقيق ما نؤمن به ونعتقد بصلاحه.

أكرر القول بوجوب اعتمادنا على التفكير العملي لأن العصـــر الذي نعيش فيه عصر عمل وتحقيق مطالب عليا. وقد قلت في محاضرتي التي ألقيتهـا في حفلـة جمعيـة «العروة الوثقى» أنّ المثـال الأعلى الظاهر في الحياة السـورية هو «العمل للخير العام في ظل السـلام والحرية» وهو أجمل المثل العليا للحياة الإنســـانية، ولكن تحقيقه يحتـــاج إلى تفكير عملي مجموعي. أقول تفكير عملي مجموعي لأجعل منه ما يقابل التفكير العملي الفردي. والأول يتناول المجموع

وينعكس على الفرد، والثاني ينحصـــر في الفرد وقد يؤول إلى أذيته من حيث لا يدري، لأن ما لا يعود على المجموع بالخير لا يعود بالخير على الأفراد، وإذا ظهر أنّ بعض الأفراد استفادوا منه ففائدتهم إلى حين، ثم ينقلب الخير إلى شـــر عليهم أو على أبنائهم، وفي حياتنا أمثلة كثيرة على ذلك تظهر لنا كل يوم. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 396).

إنّ أكثر مصـــائبنا هي من فقدان الهدف المجموعي في هيئتنا الاجتماعية. والذي أراه أنّ أقدس واجبات الشبيبة السورية هو أن تحل المصـــلحة العامة محل المصـــلحة الخاصـــة، وأن تبتدئ في العمل الإصـــلاحي الكبير لتنقية حياتنا القومية من الأدران النفسـية والصـدأ العقلي، فتعود الصـحة والنشـاط إلينا ويصـبح في إمكاننا بذل الجهود الصـادقة لتحقيق مطلبنا الأعلى، وإلا فإننا مهما اجتهدنا في تحسـين أحوالنا الفردية نظل معروفين بين شعوب العالم بالصفة الملازمة لنا، وهي صـفة الخمول والأنانية الخائفة على ذاتها المحبة للأخذ الكارهة للإعطاء. وليس للآخذ كرامة المعطي. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 397).

النجاح الفردي والنجاح القومي

يبين سعادة خطورة النجاح الفردي الذي لا يشعر بالمسؤولية إلا على النجاح الخاص، وهذا النجاح لا يمكن اتخاذه قاعدة أو مقياساً للنجاح القومي أو لمقدرة الفرد على إحراز النجاح القومي العام. ويعتبر أنّ طبيعـة النجـاح القومي تختلف كـل الاختلاف عن طبيعـة النجـاح الفردي. والنجاح الفردي غير المحدود يصل إلى الاصـطدام بمبادىء النجاح القومي والاجتماعي ويأخذ هذا الاصـطدام أحياناً شـكل ثورة دموية من العامة على طبقة امتياز النجاح الفرد المطلق، التي لا يهمها إذا أهين شرف الأمة أو ذلّت أو فقدت سيادتها طالما تقدر هي (الطبقة) أن تظل متمتعة بخيرات الدنيا المادية.

وكثيراً مـا يجرّ العمـل بمبـدأ النجـاح الفردي المطلق إلى تحـالف الرأســمال الوطني النفعي مع الإرادة الأجنبية الاســتعمارية، كما هو حال معظم الإقطاعيين وأصـحاب الثروة في بلادنا الذين يأتمرون مع الرأسمال الأجنبي المدعوم بالسياسة الاستعمارية على استغلال ذلّ الأمة وســقوطها، لأن طبيعة العمل بقاعدة الغنى الفردي بصـــرف النظر عن النجاح القومي، لا يمكنها أن تربط مصـــيرها بمصـــير طبيعة العمل بقاعدة النجاح القومي قبل كل شـــيء، التي تتطلبها أحياناً كثيرة التضـحية بمعظم أو بكل الثروة الخاصـة من أجل تأمين حرية العمل للنجاح القومي العام. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 490).

قاعدة النجاح الفردي المطلق هي: عدم الشـعور بالمسـؤولية إلا عن النجـاح الخـاص. قـاعـدة النجـاح القومي المطلق: عـدم الشـــعور بالمســؤولية إلا عن النجاح العام أو عدم الشـعور بالمسـؤولية عن النجاح الخاص إلا ضـــمن النجاح العام. هاتان قاعدتان تفرضـــان همّين مختلفين: همّ الحـالـة الفرديـة وهمّ الحـالـة القوميـة. الهمّ الأول يطلب تحقيق غرض الفرد وهو المحدود الأسـهل. والهمّ الثاني يطلب تحقيق غرض المتحد أو الأمة. والذي يمكن تقريره، من درس طبيعة عمل صـــاحب عقلية النجاح الفردي، أنه غير مؤهل للاضـــطلاع بأعباء الإدارة العليا للنجاح العام إلا حين يكون هذا النجاح قد تأمن بعمل أصـــحاب نفســـية النجاح القومي المطلق وبالاســـتناد إلى مؤازرتهم. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 491).

التفكير العلمي الفلســفي العملي يجب أن يقترن بالمصـــلحة العامة بمصلحة المجتمع بالتفكير القومي الاجتماعي.

5-التفكير القومي الاجتماعي

النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن

حصــول النظرة الفلســفية الجديدة إلى الحياة والكون والفن يفتح آفاقا جديدة للفكر ومناحي جديدة للشـــعور. وهنا نقطة الابتداء لطلب سياسة جديدة وأشكال سياسية جديدة ولفتح تاريخ أدب وفن جديدين. فالأدب والفن لا يمكن أن يتغيرا ويتجددا إلا بنشـــوء نظرة فلســـفية جديدة يتناولان قضـــاياها الكبرى. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 342)

بهذا الاتجاه الجديد يمكن أن يترافق الأدب والحياة، فيكون لنا أدب جديد لحياة جديدة فيها فهم جديد للوجود الإنساني وقضاياه التي نجد فيها الفرد والمجتمع وعلاقاتهما المثلى ومثلهما العليا كما تراها النظرة الجديدة إلى الحياة والكون والفن. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 358).

إنّ الأدب الصـــحيح يجب أن يكون الواســـطة المثلى لنقل الفكر

والشـــعور الجديدين، الصـــادرين عن النظرة الجديدة، إلى إحســـاس المجموع وإدراكه، وإلى سمع العالم وبصره، فيصير أدباً قومياً وعالمياً لأنه يرفع الأمة إلى مســـتوى النظرة الجديدة ويضـــيء طريقها إليه، ويحمل، في الوقت عينه، ثروة نفســـية أصـــلية في الفكر والشـــعور وألوانهما إلى العالم. (سـعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صـفحة 358).

إنّ الأدب الذي له قيمة في حياة الأمة، وفي العالم، هو الأدب الذي يعنى بقضـــايا الفكر والشـــعور الكبرى، في نظرة إلى الحياة والكون والفن عالية أصـلية، ممتازة، لها خصـائص شـخصـيتها. فإذا نشـأت هذه النظرة الجديدة إلى الحياة والكون والفن أوجدت فهماً جديداً للقضـايا الإنسـانية، كقضـية الفرد والمجتمع وقضـية الحرية وقضـية الواجب وقضـية النظام وقضـية القوة وقضـية الحق وغيرها. وبعض هذه القضـايا يكون قديماً فيتجدد بحصـول النظرة الجديدة إلى الحياة وبعضـــها ينشـــأ بنشـــوء هذه النظرة. فالحرية، مثلاً، كانت تُفهم قبل النظرة الجديدة إلى الحياة في أشكال واعتقادات لا وضوح ولا صلاح لها في النظرة الجديدة. فلما جاءت النظرة الجديدة إلى الحياة والكون والفن، التي نشأت بسببها الحركة السورية القومية الاجتماعية، وقرنت الحرية بالواجب والنظام والقوة، وفصّلت الحرية ضمن المجتمع وتجاه المجتمعات الأخرى هذا التفصـــيل الواضـــح، الظاهر في تعاليمها، نشـــأت قضـــية جديدة للحرية ذات عناصـــر جديدة يبينها فهم جديد يتناول أشـــكال الحياة كما تراها النهضـــة القومية الاجتماعية، وفعل الحرية وشـأنها ضـمن هذه الأشـكال. (سـعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، الصفحات 358-359).

سـبق لي القول إنّ الخطوة المطلوبة تفصـل بين عالمين وقد تحتاج لعكاز. ذلك لأنها تنقل صـاحبها من نفسية إلى نفسية ومن نظرة إلى نظرة، فيصـير لها عالم جديد بأشـكاله وألوانه وغاياته ومثله. الخطوة أو القفزة المطلوبة تكون باسـتعمال جميع القوى النفسـية لرفس عالم النزعة الفردية والغايات المادية، وترك جعل حب إبراز الشـهرة الفردية غاية أخيرة للفرد، والقفز إلى عالم ابتغاء الحقيقة الأسـاسـية الكبرى التي يستقر عليها الفكر ويطمئن إليها الشعور، واتباعها حين توجد، ســـواء أوجدت بـالاهتداء الذاتي أم بهدي هـاد. هي حقيقـة الفرد والمجتمع وحقيقة النفسـية السـامية التي انتصـرت على قيود المادية المجلجلة في الحضيض وحلّقت إلى السماء ـــ من أجل خذل الأقبح والأسفل والأرذل والأذل، ورفع الأجمل والأسمى والأنبل والأعز، فلا تكون هنالك اختلاجات حب إلا ضـــمن دائرة هذا الوعي الذي يرفع قيمة الإنســـانية طبقات جوية فوق القناعة براحة النزعة البيولوجية ذات الارتباط المادي، الغافلة عن المطالب النفسية الجميلة في نظرة شاملة الحياة والكون والفن.

القاعدة الذهبية، التي لا يصـلح غيرها للنهوض بالحياة والأدب، هي هذه القاعدة: طلب الحقيقة الأســاســية الكبرى لحياة أجود في عالم أجمل وقيم أعلى. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، الصفحات 360-361).

الحقيقة الإنسانية النظرة الجديدة:

عقيدتنا تقول بحقيقة إنسانية، كلية، أساسية هي الحقيقة الاجتماعية: الجماعة، المجتمع، المتحد. فالاجتماع للإنســـان حتمي لوجوده، ضـــروري لبقائه واســـتمراره. والمجتمع هو الوجود الإنســـاني الكامل والحقيقة الإنســـانية الكلية. والقيم الإنســـانية العليا لا يمكن أن يكون لها وجود وفعل إلا في المجتمع فمتجه القيم كلها هو المجتمع-هو مصدرها وهو غايتها.

الحق والخير والجمال من حيث هي قيم مطلقة لا وجود لها، في الواقع، في العالم الإنســـاني إلا حيث ينتفي تنوع النظر أو تنوع المصـــالح وتصـــادمها، الحق والخير والجمال والحقيقة هي قيم اجتماعية، لا قيم فردية. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 7، 2001، صفحة 386).

إنّ موضـوع الإنسـان الذي يقدمه سـعاده يختلف كثيراً عن موضـوع الإنسان في كلام السفسطائيين.

إنّ الإنسان، في عُرف السفسطائيين، هو الفرد ـــ كل فرد هو لنفسه مقياس الحقيقة شـــعوراً ومعرفة، فلا تكون هناك حقيقة واحدة بل حقائق عددها عدد الأفراد وعدد الحالات التي يمر بها الأفراد. أما سعاده فيقول إنّ الإنسان الحقيقي هو المجتمع لا الفرد، وإنّ الفرد هو مجرد إمكانية إنســـانية. ســـعاده يقول: "إنّ عقيدتنا تقول بحقيقة إنسانية، كلية، أساسية هي الحقيقة الاجتماعية: الجماعة، المجتمع، المتحد... المجتمع هو الوجود الإنســاني الكامل والحقيقة الإنســانية الكلية". ويقول أيضـاً: "إنّ عقيدتنا اجتماعية، تنظر إلى الإنسـان من زاوية الحقيقة الإنسانية الكبرى ـــ حقيقة المجتمع، لا من زاوية الفرد،

الذي هو في حد ذاته وضـــمن ذلك الحد، مجرّد إمكانية إنســـانية" "ليست قيمة الحق، ولا قيمة الحقيقة والخير والجمال، مادية، فهي لا تقاس بالسنتيمترات أو بالأمتار المربعة أو المكعبة ولا توزن بالأواقي ولا بالأرطال ولا تحد بمكان أو زمان معيّن. إنها قيم إنسانية نفسية . إنها قيم مجتمعية. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، الصفحات 173-174).

يدعو ســـعادة إلى نمط جديد من التفكير هو التفكير القومي الاجتماعي الذي يتناقض مع تفكير ذوي النزعة الفردية والفئوية.

اخترت اســـم النظام الجديد عنواناً لهذه المجلة لتحمل خطط التفكير الجديد ـ التفكير القومي الاجتماعي ـ ومخططات النظام الجديد الذي تسير الحركة القومية الاجتماعية بالأمة نحوه، كما ترسمها مدرسة الفكر القومية الاجتماعية. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 159).

نبتدىء، من هذا العدد، بنشر سلسلة المحاضرات الدراسية في التعاليم السورية القومية الاجتماعية، التي يلقيها الزعيم، أسبوعياً، في الندوة الثقافية للحركة القومية الاجتماعية. والمحاضـــرة التي ندرجها فيما يلي هي الأولى، ولها طبيعة تمهيدية فكرية ـ روحية للدخول في نطاق نظرة الحركة القومية الاجتماعية إلى الحياة والكون والفن، كما يرسم خطوطها المعلم الذي أسس مدرسة الفكر القومي الاجتماعي (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 1).

فمصلحة سورية هي مصلحة هذا المجتمع السوري، لأن سورية هي الوطن وهي الأمة، هي المجتمع جســـماً ومكاناً، إليها نعود في كل فكر أو رأي وعنها تصـــدر الإرادة. مصـــلحتها إذن هي المصـــلحة الأســـاســـية الكبرى، هي الوجود القومي، هي الحدود الاجتماعي في كل ما يعنينا ويتعلق بنا. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 82).

إنّ أول خطوة كان يجب على الحركة الســـورية القومية الاجتماعية القيام بها لتتقدم، هي تعليم العقيدة الســـورية القومية الاجتماعية والغاية الرامية إليها، لأنها هي الحقيقة الأساسية التي بها نوجد شعباً وأمة ولها نعمل. كل عمل آخر من ســـياســـة وتنظيم لا فائدة منه بدونها ولا يجدي القيام به إن لم يكن متفرعاً عنها وعائداً إليها. إنها محور الحياة والفكر الأســـاســـي، فكل عمل يجب أن يدور عليها، ولذلك كان الغرض الأساسي من الحركة السورية القومية الاجتماعية جعلها عامة ومنتصرة في الأمة السورية وحيثما أمكن تحقيق رسالتها الاجتماعية وفلسفتها المدرحية. ولقد ظن بعض المغرورين أنّ العمل العقدي الأساسي كالبحث في الأمة وقوميتها وحقيقتها وأهدافها، أمر يمكن الاستغناء عنه والاستعاضة عنه بالمساومات السياسية المطوحة بالعقيدة القومية الاجتماعية وغاية هذه الحركة العظيمة فكادت القضية المقدسة تسقط من أساسها وابتدأ الميعان والفوضى يهددان الحركة بالتفكك العام. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 229).

رسالة سعادة هي تعبير عن فكر الأمة السورية

وقد عاد الزعيم اليوم ليتابع أداء رســـالته العظمى المعبّرة عن فكر الأمة السورية وإرادتها ومُثُلها العليا –عن نظرتها إلى الحياة والكون والفن. (سعادة ، الأعمال الكاملة 7، 2001، صفحة 373).

نحن نفكر في المسائل الكبرى. إننا نفكر في أنّ اقتصادياتنا يجب أن تنظَّم تنظيماً يكفل لنا الحياة.

نحن عقيدة ثقافية اجتماعية اقتصادية سياسية، نعمل لهذا المجتمع لتوحيده من جميع الوجوه.

نحن نفكر بأمور لا تخطر على بال المرشـــح النيابي. إنّ النيابة وســـيلة لإظهار إرادة المجتمع، إنّ إرادة مجتمعنا هي الحياة، يجب ابتكار الأســـاليب لفتح طرق الحياة أمام الأمة. (ســـعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 141).

نحن حركة هجومية لا حركة دفاعية. نهاجم بالفكر والروح، ونهاجم بالأعمال والأفعال أيضاً. نحن نهاجم الأوضاع الفاسدة القائمة التي تمنع أمتنا من النمو ومن استعمال نشاطها وقوّتها. نهاجم المفاسد الاجتماعية والروحية والسياسية.

نهاجم الحزبيات الدينية،

نهاجم الإقطاع المتحكم في الفلاحين.

نهاجم الرأسمالية الفردية الطاغية،

نهاجم العقليات المتحجرة المتجمدة،

نهاجم النظرة الفردية. ونستعد لمهاجمة الأعداء الذين يأتون ليجتاحوا

بلادنا بغية القضاء علينا، لنقضي عليهم (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 126).

حملتنا على الحزبية الدينية من كل دين ومذهب ليست حملة على الدين نفسه ولا على شيء من الاعتقادات الدينية البحتة التي يجب أن يكون لكل فرد من أفراد الأمة السورية الحق في الذهاب فيها أي مذهب شاء، بل هي حملة لتعزيز الدين وتنزيهه عن الأمور الاجتماعية ـــ السياسية التي يجب أن تبقى خاضعة لمبدأ التطور حسب مقتضيات حاجة الأمة وما يقول به الفكر القومي الرامي إلى خير الأمة بأسرها، أي إلى خير كل فرد وكل عائلة في الأمة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، الصفحات 8-9).

إنّ الحزب السوري القومي قد جاءك بالعقيدة التي تعبّر عن وجدانك القومي وتظهر شخصيتك وتقويها، وتوحد مصالحك تجاه المصالح الأجنبية وتوسعها، وتثبت مركزك في العالم فتفتح لك مجال الصناعة العظيم الذي يتسع له وطننا، وتنمي مواردك الزراعية التي تكفي وحدها لنحو عشرين مليوناً من أبنائك يعيشون برفاه وتحميها، وتدعم تجارتك بقوة الدولة القومية المؤسسة عليها، وتؤسس مجتمعك تأسيساً جديداً متيناً على دعائم مبادئها الاجتماعية والاقتصادية التي تقيم العدل الاجتماعي ـــ الاقتصادي، وتقضي على عوامل التهديم الاقتصادي والتفكيك الاجتماعي، وتقيمك أمة حية، متجانسة قوية، منيعة. الحزب السوري القومي وتأسيسه للمصلحة القومية على قواعد صحيحة لا تسمح بالتلاعب ولا باستمرار قيام المنافع الفردية على حساب مصلحة الشعب. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، الصفحات 366-367).

الحقيقة في الأمر أنّ الحزب السوري القومي هو صاحب الرسالة القومية وهو المنظمة القومية العاملة على تنظيم العقائد والفكر والعمل في مجموع الأمة. ومؤسساته هي التي تضبط أعمال الأفراد فتربطهم بمبادئ وبرامج وقوانين وصلاحيات ومسؤوليات من شذّ عنها فقد برهن على عدم كفاءته للاضطلاع بالمبادئ والمسؤوليات. ومن هذه الجهة ينتظر أن يكون الحزب السوري القومي حَكَماً على الأفراد لا أن يكون الأفراد، مهما كان شأنهم، حَكَماً على هذه المنظمة القومية التي لها أهداف واضحة ومؤسسات فنية تعيّن الخطط التي يجب أن يتمشى عليها مجموع الحزب. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 239).

إنّ الحزب السوري القومي هو المنظمة الوحيدة في هذا الوطن العاملة لتوحيد الأمة لأنه يعمل على مبدأ إجماع الفكر على المصلحة العامة، نحن اليوم في عصر القوميات ولكي لا تهضم حقوقنا ولا نفقد موارد حياتنا علينا أن نكون قوميين، كونوا قوميين وثقوا بنفوسكم وحزبكم وقضيتكم. القومية تحتم علينا أن نعتمد على أنفسنا وأن نفهم أنّ العوامل التي تعمل ضدنا والجماعات التي تقاومنا وتحاربنا تعمل موجهة بالإرادات الأجنبية كالشيوعية وغيرها. نحن ننظر في حياة الأمة جميعها لا في حياة جزء منها، الأمة جميعها وشخصيتها الواحدة الجامعة جميع المصالح ضمنها. أما الشيوعية فإنها تحمل حقداً يحل محل حقد. إننا تألمنا كثيراً من الأحقاد، ولكنها أحقاد بين مذهب ومذهب، فجاءت الشيوعية لتحل محلها حقد الطبقة ضد الطبقة. إنّ للعامل في محيطنا حقاً في الحياة الراقية ولكن العامل فينا هو عامل ضمن الأمة القومية (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 142).

قامت "الكتلة الوطنية" في الشام بعمل بُني على العاطفة الوطنية لا على التفكير القومي ولذلك لم تنشىء الكتلة منظمة شعبية أو مؤسسة سياسية. وكان غرضها إيجاد وحدة الحكم في الشام وتحويل الانتداب إلى معاهدة. أما ما هو أساس الدولة الاقتصادي والاجتماعي وما هو الأسلوب الذي يمكن أن يحول المتناقضات القومية إلى تجانس موحد للعواطف والأفكار لكي تصبح الدولة وحدة فاعلة، لا مجرّد ركام من المواد البشرية المشلولة، فمن الأمور التي ظلت بعيدة عن تفكير سياسيي الكتلة، ولذلك لم تضع "الكتلة الوطنية" برنامجاً اقتصادياً يعالج مشاكل الأمة الداخلية ويضع الحلول العملية لها. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 162).

ولما كانت اللجان الفلسطينية لم تدرس جيداً خطط هذه السياسة وممكناتها العملية ولم تَسْعَ لتخطيط سياسة ثابتة يصح التمشي عليها، إذ الفكر السياسي خاضع لاعتبارات السياسة الاعتباطية فقط، كانت النتيجة أنّ الظروف هي التي تعين الانعكاس وأنّ السياسة

القومية في فلسطين بقيت سياسة انعكاسية. إنّ الوطنية عاطفة نبيلة، ولكن سياسة التضحية يجب أن تكون مخططة تخطيطاً دقيقاً، وسفك الدم ضروري متى كان وفاقاً لخطة دفاعية موزونة واضحة أهدافها العملية ومحسوبة مبرراتها التنفيذية. أما سفك الدم عن جهل للنتائج فنتيجته خسارة الأرواح وضياع الثروة والوقت. ليت العاملين في السياسات المحلية يدركون الحاجة إلى سياسة قومية تحفر خططاً عميقة في حياة الأمة وتكون اتجاهاً ثابتاً. (سعادة ، الأعمال الكاملة 2، 2001، صفحة 188).

بناءً عليه تكون القضية السورية القومية، التي أوجدها الحزب السوري القومي وقام على تحقيقها، قضية مصالح الشعب السوري كله، أي مصالح الزراع والصنّاع والتجار وأهل الفنون السوريين، لا قضية فئة من الشعب قامت على أساس الأغراض السياسية التقليدية من نشوء الأحزاب. وهذه الحقيقة تعني أنّ الحزب السوري القومي لم ينشأ على القاعدة المعروفة في مبادىء العلم السياسي والعلم الاجتماعي، التي تعرّف الأحزاب أنها تنظيم جماعات ذات مصالح معينة ضمن الدولة، وتكون هذه المصالح أحياناً مصالح الحكم. فهو حزب من حيث دلالاته على تحزُّب معتنقي مبادئه وانتظامهم لتحقيق هذه المبادىء، ولكنه في طبيعته حركة ترمي إلى تناول الشعب السوري كله بالتنظيم الفكري والعملي، لأن مبادئه هي مبادىء حياة الأمة السورية بأسرها.

منذ نشأ الحزب السوري القومي وضع مؤسسه وزعيمه في صدر الأغراض الهيولية الواضحة هذا الغرض: إيجاد إرادة الأمة السورية فعلياً في التاريخ.

ومن درسنا تاريخ نشأة الحزب السوري القومي وانتشاره نخرج بهذه الحقيقة: إنّ الزعيم بذل كل جهده واستخدم كل وسيلة عرضت له ليجعل الإرادة السورية القومية شيئاً محسوساً وقوة فاعلة، ولتهيئة الأسباب لإظهار هذه القوة وفاعليتها عندما تحين الفرصة (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 120).

مدرسة التفكير القومي

إنّ هذا الحادث يكون وجهة خطيرة من قضيتنا القومية ـ الاجتماعية. إنه ظاهرة من ظواهر مسائل سورية الإنتولوجية. ولذلك فإن معالجة هذا الحادث يجب، وفاقاً لمدرسة التفكير القومي، أن تتناول حقيقة أساسه الإنتولوجي. فمدرسة التفكير القومي تأخذ المسائل من أساسها. إنها لا تذهب أفقياً مندفعة مع رياح النزعات الجامحة، كما هي الحال في مدرسة الحماس "الوطني" الأهوج. بل تتعمق عمودياً أولاً حتى تبلغ الأساس ومن ثم تعود فتمتد أفقياً. إنّ تفكير النهضة السورية القومية تفكير هندسي راسخ، لا تفكيراً حسابياً عددياً أولياً. كل بحث في وحدة سورية ونهضتها لا يتناول بالدرس قضية تركيبها الإنتولوجي لا يصل إلى نتيجة ناجحة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، الصفحات 401–402).

الطريقة الوحيدة لصهر هذه العناصر هي طريقة تسليط عامل روحي ــ اجتماعي ــ ثقافي عليها واختلاف الأديان في سورية وجعل الدين محور كل حياة قضيا بتجزؤ روحية الشعب السوري واجتماعه وثقافته، فامتنع العامل الجوهري لصهر الجماعات الإنتولوجية. وهكذا عاشت الهجرات في سورية أجيالاً، فظل الكردي كردياً والشركسي شركسياً والأرمني أرمنياً والآشوري آشورياً. وكانت الإرادة الأجنبية حريصة على استمرار هذه الحالة الشاذة ففسحت المجال لزيادة الهجرات وزيادة الهجرات تنعش الشعور بالرابطة الأولية الذي كان أخذ يتحول، مع الأيام، إلى شعور بالرابطة الجديدة مع الشعب السوري والأرض السورية. هذه هي مشاكل الوحدة السورية القومية الأساسية. أما الحكم والمركزية واللامركزية وتغيير الوزارات وغير ذلك من المسائل فهي شكلية. ولا يمكن أن يقوم حل شكلي مقام حل أساسي. فلما بدأت أعالج قضية أمتي توجهت إلى الأساس أولاً فوضعت المبادىء الأساسية لقضية الأمة السورية ثم رتبت الأمور الشكلية لتنطبق على الأساس.. (سعادة ، الأعمال الكاملة 3، 2001، صفحة 403).

يرى سعادة أن التفكير الحاضر دخل في طور الشيخوخة في العالم كله، والديموقراطية الحاضرة قد استغنت بالشكل عن الأساس، فتحولت إلى نوع من الفوضى لدرجة أنّ الشعب ذاته أخذ يئن من شلل الأشكال التي أخذت على نفسها «تمثيل» الإرادة العامة، وصار ينتظر انقلاباً جديداً.

وهذا الانقلاب الجديد هو ما تجيء به الفلسفة السورية القومية القائلة بالعودة إلى الأساس والتعويل على «التعبير عن الإرادة العامة» بدلاً

من «تمثيل الإرادة العامة» الذي هو شكل ظاهري جامد.
الإرادة هي تحقيق المصلحة كما يعرّفها سعادة، والإرادة العامة هي تحقيق المصلحة العامة.
تمثيل الإرادة العامة وفق الآليات المتبعة حتى في الدول المتقدمة ينتج عنها تسخير المصلحة العامة لمصالح فردية وفئوية.
التعبير عن الإرادة العامة يعني تحقيق المصلحة العامة للجميع دون استغلالها من قبل شخص أو فئة.
هذه الفكرة الجديدة، أي «التعبير عن إرادة الشعب»، هي الاكتشاف السوري الجديد الذي ستمشي البشرية بموجبه فيما بعد. وهو دستورنا في سورية الذي نعمل به لنجعل البلاد دائماً كما تريد الأمة التمثيل هو دائماً أهون من التعبير، لأن التمثيل شيء جامد يتعلق بما قد حصل، أما التعبير فغرضه الإنشاء وإدراك شيء جديد.
هذا هو الخلل الاجتماعي الذي يريد التفكير السوري الحديث أن يصلحه، تفهُّم إرادة الشعب وإعطاؤها وسائل التنفيذ الموافقة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 38).
السوري المفكر يجب أن يهتم في إنقاذ الديموقراطية من الهلاك. وذلك بأن يزيل ما دخل إليها من الفساد ويُدخِل إليها تفكيراً ينطبق على ما وصل إليه الناس من العلم والمعرفة، فتصير صالحة لنفع الإنسان وتكفل حقوق الإنسان من كل مهاجمة وتعدٍّ. (سعادة ، الأعمال الكاملة 4، 2001، صفحة 41).

رسالة الزعيم تعبّر عن فكر الأمة السورية وإرادتها ومُثُلها العليا – عن نظرتها إلى الحياة والكون والفن. (سعادة ، الأعمال الكاملة 7، 2001، صفحة 373).

استنادا إلى تاريخ سورية ومآثر مفكريها ومبدعيها عبر التاريخ ما يدل على عقل عملي فاعل ومبدع بعيدة عن العقلية الشرقية يعمل سعادة على تجريد سورية من تأثير هذه العقلية وإعادة عقليتها الأصلية إليها. هذه النظرة الفلسفية الجديدة التي يجيء بها سعاده ويبيّن أهميتها، وكيف أنها تنقذ النفسية السورية من التخبط في أوهام الفكر الشرقي. (سعادة ، الأعمال الكاملة 9، 2001، صفحة 107).
تفكير سعادة يتمحور حول فكرة الأمة \ المجتمع قضية الأمة حقوقها مصالحها مصيرها، لذلك فكل الخطط والعلاقات تخضع حتما للمقاصد والمصالح القومية السياسية. وهذا أيضا بالنسبة للاتحادات السياسية.

"الاتحادات السياسية عند الأمم الواعية التي تمثّل حكوماتها في السياسة الخارجية مصالحها القومية لا تؤخذ بمثل السذاجة التي تؤخذ بها فكرة "الاتحاد العربي" عند المنساقين في اللاوعي القومي من السوريين العروبيين الذين لا يميّزون بين الاتحادات الإنترناسيونية السياسية والوحدة القومية الداخلية للشعب الواحد.

إنّ وحدة الحياة القومية شيء والاتفاق، بضرورة المصالح والتقارب الثقافي أو الروحي، شيء آخر. ولذلك فإنّ ما يمكن إحداثه اليوم في أوروبة بينما ألمانية محطمة وممزقة ومجرّدة من صناعتها الكبرى، وفرنسة وإيطالية تنهضان ببطء بواسطة المساعدات الأميركانية والبريطانية ليس بالشيء الذي يمكن أن يوصل أوروبة إلى الاستقرار الذي لا يمكن أن يحدث إلا بوحدة حياة أوروبية تتكون بها أمة أوروبية جديدة، وعوامل صهر أوروبة وحياكة نسيج حياة واحدة من أممها لا تزال عوامل ضعيفة على الرغم من كل ما يذاع عن محاولات اتحادات أوروبية (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، الصفحات 360–361).

عندما نصل إلى هذه الدرجة من تفكيرنا الاجتماعي نبتدىء بتعيين أهدافنا إلى الحياة. وما لم ندرك هذا المجتمع وحقيقته لا يمكن معرفة أهدافه. معرفة المجتمع هي شرط أولي لإمكان تعيين الأهداف. يجب أن نعرف هذا الكائن الذي يسير فنعرف إلى أي هدف يسير. فبإدراكنا لحقيقتنا يمكننا أن ندرك مقاصد هذه الحقيقة وأهدافها. فإذا عمَّ هذا الوعي الشعب كله أمكن أن تضافر الجهود وأن توحد القوى لتحقيق المقاصد والأهداف. وتسير الأمة الواحدة بإيمان واحد وفاعلية واحدة فتتمكن من بلوغ الدرجة التي تمكّنها من تحقيق أهدافها.

الوعي القومي الذي يوضح حقيقة المجتمع وينقذه من تخبطاته هو شرط أولي للابتداء بالعمل الأولي للتقدم والفلاح، لذلك نحن نفضّل أن نبدأ بهذه الطريقة بوعي قومي اجتماعي صحيح يقضي على جميع المشاكل الروحية والنفسية في المجتمع (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 422).

إنّ الإنقاذ الكلي هدفنا نحن القوميين الاجتماعيين، حزب تفكير،

حزب تنظيم وتفكير، وعمل صامت مجدٍ. نحن حزب أعمال، ولسنا بحزب أقوال وبيانات، الإنقاذ الكلي هدفنا. نحن لسنا حزب بيانات، حزباً يستغل المناسبات، نحن حزب عمل وحزب قتال. تاريخنا يشهد أننا حزب عمل، وحزب قتال، فلا مفر لنا من القتال.

لذلك نحن لسنا حزب بيانات، نستغل عواطف الشعب لأنه ليست لنا مصالح وصولية، ليست لنا غاية إرضاء جماعات لها مآرب خصوصية، لذلك نحن حزب عقيدة، نحن حزب يقين، نحن حزب تخطيط، نحن حزب عمل، نحن حزب قتال، في سبيل حياة أمة (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 429).

النقطة الأساسية، نقطة البدء الصحيح، أن تكونوا جماعة نظام فكري صحيح، جماعة نظام عمل صحيح. وعلى كل واحد منا ممارسة هذا النظام، بكل أشكاله، بكل مراتبه. هذا العمل البنائي، بناء العقيدة في نفوس المواطنين، بناء الصفوف، وتنظيمها التنظيم الموحد، جمع روحيتها في الأهداف الصحيحة التي تسير إليها، هذا النظام والسير في هذا النظام، وفي جميع فروعه ومراتبه هو الذي يكفل لنا النصر الخير.

ومن جهة أخرى، نحن جماعة أخلاق (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 431).

هدف التفكير

المجتمع–الأمة– وخيره ومثله العليا هي غاية النهضة والغاية الأخيرة للاجتماع (سعادة ، الأعمال الكاملة 11، 2001، صفحة 333).

نحن في الحزب السوري القومي الاجتماعي ليس لنخدم أغراض شخص معيّن. نحن في الحزب السوري القومي الاجتماعي ليس لنخدم أغراضاً خاصة لشخص اسمه أنطون سعاده، ولسنا في هذه الحركة لنخدم أكثر من غاية شخص واحد: غايات خاصة لعدد من الأشخاص أو عائلة تجمع هؤلاء الأشخاص.

لسنا في الحزب السوري القومي الاجتماعي لخدمة غايات فردية أو جزئية. نحن في الحزب القومي الاجتماعي لنخدم غاية الشعب بأسره غاية المنضوين تحت لواء الحزب السوري القومي الاجتماعي وغير المنضوين تحت لواء الحزب السوري القومي الاجتماعي من الذين لم يتمكنوا من إدراك حقيقة نفسية الحزب. وإذا كان لشخص أو اشخاص قيمة عامة في الحزب القومي الاجتماعي في البلاد، فهي لأنهم يعبّرون عن هذه الحقيقة الأساسية الكبرى ويظهرون طريقة تحقيقها في الأمة. (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 150).

قضية النهضة هي قضية نهوض بالأخلاق والمناقب قبل كل شيء (سعادة ، الأعمال الكاملة 6، 2001، صفحة 537).

الانحراف الحزبي في غياب الزعيم

مر الحزب، في أثناء غياب الزعيم في أميركة، في فترة تهدمت فيها المثالية النظامية والعقدية. فاتجهت الأعمال الحزبية نحو المظاهر، بدل الاتجاه الأول الصحيح الذي كان نحو البناء الداخلي وتأسيس القيم النفسية، الأخلاقية والمناقبية، وإعداد الطرق العملية لانتصار القضية القومية الاجتماعية المقدسة. ولم يقتصر الاتجاه الانحرافي على طلب المظاهر، بل تعداه إلى نشوء نفسية التسوية بين القضية القومية الاجتماعية، الكلية، الاجماعية وبين المآرب والمطامع الخصوصية، الفردية، في عدد غير قليل من الذين صاروا في الطبقة الظاهرية من الحركة القومية الاجتماعية.

شيئاً فشيئاً تطغى المآرب الخصوصية على الغاية العظمى، وصارت القضية القومية الاجتماعية المقدسة مجرّد واسطة للأغراض الخصوصية. فنشأت محاولات التسوية بين نظام الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايات مخالفة للقضية. وكان قصد المحاولات المذكورة الوصول إلى غايات خصوصية عن طريق قوة الحزب، حتى ولو أدى الأمر إلى تضحية عقيدته وغايته في ذلك السبيل (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 214).

إنا لا نريد في الحزب القومي الاجتماعي كثرة عدد متضخم يمكن أن يفيد الذين أصبحوا يميلون إلى التسوية ويغريهم ضعف الإيمان ووهن البناء النفسي العقدي بالمساومات والمضاربات.

إنّ عملية تطهير الحزب من نفسية المساومات والمضاربات والتسوية ستستمر، وستقضي على الانغماس السياسي الخصوصي قضاءً مبرماً فلا يبقى في الحزب غير: جنود عقيدة ونظام وإيمان بالنصر . جنود في كل عمل وكل اختصاص ـــ جنود في الإدارة وجنود في الإذاعة وجنود في الثقافة وجنود في السياسة (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 216).

يجب القضاء على جميع المآرب الخصوصية، ووضع حدّ للميعان العقدي والنظامي ضمن الحزب، ويجب قطع دابر الانتهازية التي تطعن القضية في صميمها، وأنه يجب حفظ المراكز الأمامية في الحزب للذين يحاربون حرب القضية والنظام، فلا يجوز أن يتقدم إليها من لا يحملون حمل العقيدة والنظام، مهما بلغت مهارتهم في اجتذاب ميول الجماهير بأساليب الديماغوجية (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 250).

كل ما فينا هو من الأمة وكل ما فينا هو للأمة. الدماء التي تجري في عروقنا، عينها، ليست ملكنا. هي وديعة الأمة فينا ومتى طلبتها وجدتها!

إنّ الذين يعيشون لذواتهم يعيشون في نطاق الأنانيات الصغيرة، المحدودة، التي لا تستحق إلا الازدراء والاحتقار (سعادة ، الأعمال الكاملة 8، 2001، صفحة 283)

مقياس التفكير

الدليل على نوع التفكير:

إن قيمة عقل الإنسان تظهر في مقدار تفكيره ونوعه، والدليل على نوع هذه القيمة وأهميتها يظهر من نتائج التفكير المتجلية في الحياة الاجتماعية. ومن معرفتنا حقيقة الحياة القومية لشعب من الشعوب يمكننا أن نحكم على مبلغ تفكيره وأن نعيّن بالضبط المحل الذي يحله ذلك الشعب من بقية الشعوب. وهذا الحكم وهذا التعيين لا يقتصران على وصف الشعب بمجموعه فقط، بل يتناولان طبقات الشعب وجمعياته والهيئات التي تمثله. (سعادة ، الأعمال الكاملة 1، 2001، صفحة 390).

هذا المقياس يمكن تطبيقه على الحياة القومية وعلى الحياة الحزبية.

المراجع

أنطون سعادة . (2001). *الأعمال الكاملة 1*. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). *الأعمال الكاملة 10*. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 11. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 12. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 2. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 3. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 4. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 5. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 6. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 7. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 8. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

أنطون سعادة . (2001). الأعمال الكاملة 9. بيروت: مؤسسة سعادة للثقافة.

ريتشارد مينش. (2010). الأمة والمواطنة في عصر العولمة. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.